الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٣ العدد ٦١١ ذو الحجة ١٤٣٨هـ - سبتمبر ٢٠١٧م

الرابطة

السنة ٥٣ العدد ٦١١ ذو الحجة ١٤٣٨هـ - سبتمبر ٢٠١٧م

الاختيارات الفقهية في مسائل الحج والعمرة

رابطة العالم الإسلامي تمثل المقعد الإسلامي في ذكرى قنبلة هيروشيما

الأمين العام للوقف الإسلامي السويدي:

الرابطة مظلة للشعوب المسلمة في العالم وعملت الكثير من أجل الأقليات

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

زيارة اليابان والحضور الدولي

تُعدُّ اليابان من الدول التي انتبهت باكرًا لأهمية الأديان في تهذيب الأخلاق وضرورة التقليل من المظاهر السلبية مثل الجريمة والانتحار وانفصام عرى الأسرة. من أجل ذلك عنيت هذه البلاد منذ وقت بعيد على تعاهد اللقاءات بين القادة الدينيين، وإرساء الحوار بين أتباع الأديان في جو من التسامح والسلام.

وتجدر الإشارة إلى أن العلاقة بين العالم الإسلامي واليابان تتوفر لها عوامل إيجابية كثيرة، لعل من أهمها؛ خلو هذه العلاقة من الخبرات التاريخية السالبة، وعدم وجود مهددات ثقافية أو لغوية مثل تلك الموجودة في تفاعل العالم الإسلامي مع أطراف أخرى، فضلاً عن اشتراك الثقافتين الإسلامية واليابانية على الكثير من المشتركات الإيجابية.

في إطار هذه العلاقات التاريخية بين اليابان والعالم الإسلامي، جاءت زيارة معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى لليابان بدعوة رسمية من الحكومة اليابانية، ومن هذه الخلفية كان للرابطة حضورها الدولي المعتبر في هذه الزيارة وفي جميع الفعاليات التي أقيمت بهذه المناسبة.

استهل معالي الأمين العام زيارته لليابان بالمشاركة في (الاجتماع العالمي للقمة الدينية) الذي دارت أعماله في مدينة كيوتو، حيث كان متحدثاً رئيسًا عن الدين الإسلامي في الجلسة الافتتاحية.

وألقى معاليه كلمة ضافية، تضمنت الإشارة إلى أن الدعوة إلى التعايش والسلام في هذه اللقاءات، هي دعوة شريفة إنسانية في مطالبها، واضحة في أهدافها، قوية في حججها ومؤيداتها الواقعية. وقال إن هذه اللقاءات تلقى ترحيباً واسعاً من الشعوب التي اكتوت بنيران الاضطهاد بدوافع من العنصرية العرقية والدينية، ومحاولة القضاء على التنوع الثقافي، ومواجهة سنة الخالق جل وعلا في التنوع والتعددية بأساليب العسف والقوة، فلا إكراه في اعتناق الأديان ولا الأفكار ولا الثقافات.

وشدد معالي الأمين العام على أن الرابطة لا تحمل هموم العالم الإسلامي فحسب، وإنما تحمل هم الإنسانية جمعاء، فرسالة الإسلام إنسانية عالمية تسعى فيما تسعى إليه للدفاع عن الحقوق والحريات بالأساليب المشروعة، كما تحرص على تطبيق المواثيق العادلة التي قررتها المواثيق والاتفاقات والصكوك والمبادئ والأعراف الدولية، مستدلاً بقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وأعرب عن أمله في أن تسفر أعمال هذا الاجتماع عن نتائج تتصدى لأطروحات الصراع المادي بين الأمم والصدام الفكري بين الثقافات والحضارات وفي سياقها الصراع الديني والطائفي، وصولاً لتعزيز الخط المضاد لها، وهو خط الدعوة إلى السلام وتوسيع آفاق التعايش، وذلك بفتح قنوات الحوار الجاد والمثمر بين مختلف الفئات الدينية والقيادات الفكرية والأقطاب الثقافية والحضارية.

وكانت مشاركة معالي الدكتور العيسى في مراسم الذكرى السنوية الثانية والسبعين لسقوط القنبلة الذرية على مدينة (هيروشيما)، بدعوة رسميّة من الحكومة اليابانية، بحضور رئيس الوزراء، ورئيس مجلس النواب الياباني شيزو آبي، ووزير الخارجية تارو كونو، وممثلين دبلوماسيين عن ٨٠ دولة في العالم، حيث مثلت الرابطة الجانب الإسلامي في هذا الاحتفال ضمن المؤسسات والهيئات العالمية وكبار الشخصيات.

لقد ترجمت هذه المشاركة؛ الحضور المهم لرابطة العالم الإسلامي، مما يدل على حجم الثقة التي اكتسبتها هذه المنظمة الإسلامية، وتعزيز مكانتها حول العالم.

ولا شك أن الرؤية الجديدة للرابطة فكرياً وإنسانياً، أكسبتها التقدير، والحضور العالمي الذي يعود في النهاية لخدمة سمعة المسلمين، في وقت العالم بحاجة إلى معرفة أن الإسلام هو دين السلام والحكمة، وذلك في إطار التوجه الجديد لرابطة العالم الإسلامي في الانطلاق نحو الآخرين، مما يفتح آفاق التعاون ويمنح الأمل في تغيير المفاهيم المغلوطة عن الإسلام والمسلمين.

تجلى كل ذلك في اللقاءات العديدة مع المسؤولين اليابانيين؛ ومنهم نائب رئيس مجلس الوزراء السيد مياكو شي، ووزيرة شؤون العدالة الأمنية السيدة كامي كوا، ووزير الدولة للشؤون الخارجية السيد ماسا هيا ساتو، وعمدة طوكيو السيدة كويكو يوريكو، ومحافظ منطقة هيروشيما هيدي ايه كو يوزاكي.

وكانت استضافة البرلمان الياباني لمعالي الأمين العام فرصة أخرى لتبادل الرأي في دعم العلاقات اليابانية الإسلامية، بحضور البرلمانيين والمسؤولين الحكوميين والإعلاميين ورؤساء الفعاليات الإسلامية في اليابان.

ومن ناحية أخرى لمس أفراد الجالية المسلمة في اليابان أهمية هذه الزيارة في تعزيز الصلات الداخلية بينهم، و توطيد الأوامر بين الجالية المسلمة وبقية أطياف المجتمع الياباني. وكان للزيارة دورها الملموس في دعم التوجه الإيجابي نحو اندماج الجالية المسلمة في إطارها الاجتماعي وتعزيز التعايش وروح المواطنة.

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

معالي الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المشرف العام على الإعلام

أ. عادل بن زامل الحربي

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

شاكر بن صلاح العدواني

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠١٠٧٧

سنترال: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني: rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت www.themwl.org

أخبار العالم الإسلامي www.mwl-news.net

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ – ردمد: ١٦٩٥-١٦٥٨

د.العيسى يلتقي نائب رئيس الوزراء ووزيرة شؤون العدالة الأمنية ووزير الدولة للشؤون الخارجية وعمدة طوكيو

4

المملكة فتحت قنوات الحوار بين مختلف الفئات الدينية ودعت إلى السلام

6

رابطة العالم الإسلامي تمثل المقعد الإسلامي في ذكرى قنبلة هيروشيما

9

المحتويات

البرلمان الياباني يستضيف ويُكرّم أمين رابطة العالم الإسلامي ٤

المملكة فتحت قنوات الحوار بين مختلف الفئات الدينية ٦

رابطة العالم الإسلامي تمثل المقعد الإسلامي في ذكرى قنبلة هيروشيما ٩

د.العيسى يوصي الجالية المسلمة في اليابان بتعزيز روح الاندماج الإيجابي ١١

بصفر: الاعتداء على مكة المكرمة تجاوز للمحرمات ١٣

الهيئة العالمية للكتاب والسنة تقيم مسابقة قرآنية في فلسطين ١٤

الشاوي: رابطة العالم الإسلامي تكفل (٨٤,٥٧٥) يتيما ويتيمة في (٣٥) دولة ١٥

حسان: الرابطة مظلة للشعوب المسلمة في العالم ١٨

جهود رابطة العالم الإسلامي في مواجهة التطرف (٤/٣) ٢٢

المحتويات

العدد: ٦١١
ذو الحجة ١٤٣٨ هـ - سبتمبر ٢٠١٧ م

من طرائف الحجيج .. كتاب ثقافي يقدم التوعية والإرشاد بمدخل جديد 48

التعليم الجيد أداة لإيقاف التدهور 60

الاختيارات الفقهية في مسائل الحج والعمرة ٢٩
الحج: مقاصد ومنافع متجددة ٣٧
دور رحلة الحج في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ٤٠
البلاغ الأخير .. معالمُ في خطبة الوداع ٤٤
من طرائف الحجيج .. كتاب ثقافي يقدم التوعية والإرشاد بمدخل جديد ٤٨
سؤال القيم في الشريعة الإسلامية ٥٤
زيارة إلى مركز التوحيد الإسلامي في جنوب إفريقيا (٢/٢) ٥٨
التعليم الجيد أداة لإيقاف التدهور ٦٠
مدار ٦٤

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بتنزانيا يقيم مسابقة قرآنية دولية بالتعاون مع الهيئة العالمية للكتاب والسنة

نظمت رابطة العالم الإسلامي عبر الهيئة العالمية للكتاب والسنة بالتعاون مع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بتنزانيا والجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بتنزانيا المسابقة القرآنية الدولية للقرآن الكريم بمشاركة عشرين دولة, وذلك برعاية نائب رئيس الجمهورية التنزانية, وأقيم بهذه المناسبة حفل تكريمي للمشاركين في المسابقة حضره رئيس جمهورية تنزانيا الأسبق وسماحة مفتي تنزانيا ونائب سفير خادم الحرمين الشريفين بتنزانيا وعدد من سفراء الدول العربية والإسلامية وفضيلة الدكتور عبدالله بصفر الأمين العام للهيئة العالمية للكتاب والسنة وعدد من العلماء وحفظة القرآن الكريم وجمع من المواطنين.

بدأ الحفل بتلاوة من القرآن الكريم ثم ألقيت بعض الكلمات عبر فيها المتحدثون عن شكرهم للقائمين على تنظيم هذه المسابقة وأثنوا على حكومة تنزانيا على رعايتها لهذه المسابقة الدولية, وأشادوا بجهود رابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية للكتاب والسنة في خدمة القرآن الكريم على مستوى العالم, وتحدثوا عن فضل حفظ القرآن الكريم والتنافس فيه وحثوا الطلاب على بذل المزيد في حفظ وإتقان القرآن, وفي ختام الحفل تم تكريم فضيلة الدكتور عبدالله بصفر من قبل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية كشخصية العام في خدمة القرآن الكريم وكذلك فخامة رئيس الجمهورية الأسبق علي موينى, كما تم تكريم عدد من المسؤولين ثم وزعت الهدايا والجوائز على الفائزين والمشاركين في المسابقة.

البرلمان الياباني يستضيف ويُكرّم أمين رابطة العالم الإسلامي

د.العيسى يلتقي نائب رئيس الوزراء ووزيرة شؤون العدالة الأمنية ووزير الدولة للشؤون الخارجية وعمدة طوكيو

• وزراء وبرلمانيين ومفكرين يابانيين يشيدون بتواصل الرابطة ورؤيتها الجديدة

طوكيو:

التقى معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى خلال زيارته لليابان بنائب رئيس مجلس الوزراء الياباني السيد ميا كو شي، الذي رحب بوفد الرابطة، مؤكداً أهمية الزيارة في دعم الشراكة الفاعلة بين الحكومة اليابانية ورابطة العالم الإسلامي بوصفها ممثلة للشعوب الإسلامية ولديها رؤية جديدة تتفق وأهداف الحكومة اليابانية الرامية لدعم التعايش والاندماج بين الجالية المسلمة وبقية أطياف المجتمع الياباني.

كما التقى معالي الأمين العام بوزيرة شؤون العدالة الأمنية اليابانية المسؤولة عن ملف الأمن ومواجهة التطرف في الحكومة اليابانية السيدة كامي كاوا؛ حيث جرى خلال اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأجهزة ذات العلاقة ورابطة العالم الإسلامي، كما جرى التأكيد على أهمية التعاون بين الطرفين لمواجهة الفكر المتطرف وتعزيز اندماج الجالية المسلمة في محيطها الاجتماعي وحمايتها من الاختراق الفكري والتأثير على مكتسباتها مع إحاطة الجانب الياباني بمعالم مهمة في الثقافة الإسلامية وتنوعها وارتكازها على قيم التسامح والتعايش والعمل الإنساني.

وفي السياق ذاته التقى معالي الشيخ العيسى بوزير الدولة للشؤون الخارجية الياباني السيد ماساهيا ساتو، حيث جرى بحث العديد من الموضوعات المتعلقة بالجالية المسلمة في اليابان والتعاون في مجال مواجهة أفكار التطرف ورسائله التي تهدد السلم الدولي، حيث اعتبر المسؤول الياباني أن الشراكة مع رابطة العالم الإسلامي مهمة لكلا الطرفين في ظل تصاعد دعوات التطرف والتطرف المضاد مبلغاً معاليه تحيات وزير الخارجية الياباني حيث تزامنت زيارة معالي الأمين العام للرابطة مع وجود الوزير في مهمة خارجية .

من جانبها استقبلت عمدة طوكيو السيدة كويكو يوريكو معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي، حيث رحبت بوفد الرابطة مؤكدة على أن هذه الزيارة تأتي استجابة للتحديات التي يواجهها العالم اليوم في ظل تنامي تيارات التطرف واستهداف السلم الاجتماعي، وأشارت عمدة طوكيو إلى أن العاصمة اليابانية تستعد لاستضافة أولمبياد طوكيو العام ٢٠٢٠م الذي يتطلب التنسيق مع كافة الفعاليات المسلمة وعلى رأسها رابطة العالم الإسلامي للاستعداد لاستقبال الرياضيين المسلمين المشاركين في الأولمبياد، وضمان توفير كافة متطلباتهم التي تراعي خصوصيتهم.

وفي ذات السياق قام معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بزيارة للجنة التنظيمية لأولمبياد طوكيو ٢٠٢٠، حيث استمع معاليه إلى شرح موجز عن الاستعدادات لاستقبال الحدث الرياضي الكبير قدمه رئيس اللجنة التنفيذية يوكيهيكو مورا، الذي أشار إلى أن اللجنة تتطلع للتعاون مع الرابطة في مجال تثقيف العاملين في الأولمبياد عن بعض الخصوصية الدينية الإسلامية وبحث مساهمة الرابطة في ضبط سوق الأكل الحلال نظرا لموثوقيتها العالية بين الشعوب الإسلامية.

من جهة أخرى استضاف البرلمان الياباني معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي بحضور عدد من البرلمانيين والمسؤولين الحكوميين والإعلاميين ورؤساء الفعاليات الإسلامية اليابانية.

وقد رحب البرلماني السيد كوا مورا في بداية الجلسة بمعالي الأمين العام والوفد المرافق، مشيرا إلى أن البرلمان يستضيف الرابطة تقديراً لدورها الجديد والملموس في دعم العلاقات اليابانية الإسلامية، وليتمكن عبر هذا الحوار من فهم بعض التطورات المرتبطة بصورة الإسلام وسبل مواجهتها والتعاون لوضع برامج تقوم على ما لدى الرابطة من إمكانيات وقدرات.

وقد ألقى معالي الأمين العام كلمة خلال اللقاء أشاد فيها بنموذج التعايش الذي يتميز به المجتمع الياباني، لافتاً النظر إلى أن هذا النموذج يستحق أن تتكاتف جميع أطياف المجتمع الياباني للمحافظة عليه وتعزيزه وحمايته من الدعوات المتطرفة والمنحرفة وكذلك رسائل الكراهية المتطرفة كما في ظاهرة الإسلاموفوبيا التي تعتبر اليابان بوجه عام وإلى حد جيد على وعي كامل بتطرفها المحسوب على مزايدات سياسية

وإعلامية بعيداً عن حقيقة الإسلام فالمسلمون حسب آخر إحصائية تقديرية يبلغون حوالي مليار وثمانمائة مليون مسلم جميعهم ضد الفكر الإرهابي المتطرف وأن هذا الفكر لايتجاوز على أكثر التقديرات سوى ١٪ من مائتي ألف نسمة وأن تلك الظاهرة الكارهة والمتطرفة - الإسلاموفوبيا - لن تحقق سوى المزيد من المتطرفين من خلال التطرف المضاد من قبل المتسرعين وقليلي الوعي.

وأشار معاليه إلى أن العالم يواجه اليوم تحدياً لمواجهة الأفكار المتطرفة وحماية الفئات المستهدفة من تسلل سمومها، وهو الأمر الذي يتطلب تبادل التجارب والأفكار والعمل سوياً بين الدول والمنظمات الدولية ورابطة العالم الإسلامي في مقدمتها.

وثمن معاليه ثقة البرلمان الياباني بالرؤية المتجددة للرابطة وتفاعله معها، مؤكدا أن رابطة العالم الإسلامي بوصفها منظمة دولية تمثل الشعوب الإسلامية يهمها العمل مع المؤسسات الدولية الحكومية والأهلية ذات العلاقة بإطار التباحث المنوه عنه لتفويت الفرصة على المنظمات الإرهابية وكشف أفكارها المنحرفة وهزيمتها.

بعد ذلك فتح المجال للمناقشة حيث تركزت التساؤلات على استطلاع رؤية الرابطة الجديدة ومجالات العمل معها، كما تناول اللقاء طرح بعض هموم الجالية المسلمة في اليابان ووسائل دعم تمثيلهم في البرلمان وفي المؤسسات الرسمية والأهلية اليابانية.

وقد أقامت لجنة العلاقات السعودية اليابانية على هامش اللقاء حفل غداء وسط حضور عدد كبير من البرلمانيين والإعلاميين وممثلي الجالية المسلمة في اليابان تكريماً لمعالي الأمين العام، كما التقى معاليه بعدد من المفكرين اليابانيين مشيدين بتواصل الرابطة مبدين تنويههم برؤيتها الجديدة.

حذّر من الكيانات التي مرت بتجارب فاشلة وحاولت التنكر للدين والقيم الروحية

المملكة فتحت قنوات الحوار بين مختلف الفئات الدينية ودعت إلى السلام وتوسيع آفاق التعايش بين البشرية

كيوتو :

حذر معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، من بعض الكيانات التي مرت بتجارب فاشلة و حاولت أن تُرسي دعائم المجتمع الإنساني على أسس شمولية وأطروحات مادية تتنكر للدين والقيم الروحية، وتقطع الصلة بخالق السموات والأرض، وتصادم الفطرة الإنسانية، فأوجدت كيانات خالية من المعاني الإنسانية والقيم الأخلاقية تحركها المادية النفعية في أسوأ صورها، مبينًا أن للخالق جل وعلا مع هذه الكيانات نتيجة حتمية حكتها فصول التاريخ، ويجب على البشرية قراءة ذلك والاتعاظ بها... مؤكداً على مسؤولية قادة الأديان في تعزيز المفاهيم الحضارية والإنسانية والتحرك الفعلي والجاد لنشر قيم المحبة والسلام .

جاء ذلك في كلمة ألقاها معاليه كمتحدثٍ رئيس في الجلسة الافتتاحية عن الدين الإسلامي خلال «الاجتماع العالمي للقمة الدينية» الذي دارت أعماله في جبل هايي بمدينة كيوتو اليابانية، بحضور كبير قساوسة طائفة تانداي البوذية الرئيس الفخري للاجتماع السيد كويي موريكاوا، وعدد كبير من ممثلي المؤسسات والطوائف الدينية في العالم وجمع من المدعوين لحضور مظاهر الاحتفاء والالتقاء الديني العالمي الكبير من أجل هذه المناسبة التاريخية من الساسة والمفكرين والإعلاميين والتي تركزت على تعاهد هذا الحضور التاريخي للدعاء من أجل السلام والعزيمة على

تحقيقه روحياً.

ونوه معاليه بأهمية عقد هذا النوع من الاجتماعات التي تدافع عن الحقائق الثابتة من عمق التاريخ البشري من الذين يريدون لبعض التوجهات أن تنقلب إلى العكس بادعاء التحول التاريخي نحو القطب الثقافي والحضاري الواحد «المهيمن والمستحوذ على غيره» أو افتراض صدام حتمي بين الحضارات، لإثارة التأهب الدائم لمواجهة خصم حضاري قائم أو مفترض، ينافس على النفوذ والهيمنة.

وقال معاليه: إننا باسم الشعوب الإسلامية الواعية والمستنيرة نتمنى أن يسعد الناس جميعاً بما اشتمل عليه المدلول اللغوي والديني لاسم الإسلام من مبادئ سامية، وقيم نبيلة، تنطلق من تكريم الإنسان، والمساواة العادلة بين أبناء الجنس البشري، وحب الخير والفضيلة، ورحمة الضعفاء، ونصرة القضايا العادلة، ومكافحة الظلم والعدوان، ونشر السلام على البشرية جمعاء.

وأضاف أنه بهذه المعاني العظيمة عزز الإسلام في أنفس أتباعه روح الانفتاح على الذين لديهم حرص على التعاون والتعاطي الإيجابي في معالجة القضايا المشتركة التي تشغل المجموعة البشرية الموزعة على أقطار المعمورة.

وتابع الدكتور العيسى قائلاً: إن مشتركاتنا المتعددة بروحها القوية والمؤثرة وعزيمتها الصادقة كفيلة بهزيمة الشر ونشر قيم التعايش والسلام .

• على قادة الأديان تعزيز المفاهيم الحضارية والإنسانية والتحرك الفعلي والجاد لنشر قيم المحبة والسلام

ولفت معاليه النظر إلى أن الدعوة إلى التعايش والسلام من خلال أمثال هذه اللقاءات المهمة والتاريخية، هي دعوة شريفة إنسانية في مطالبها، واضحة في أهدافها، قوية في حججها ومؤيداتها الواقعية، وتلقى ترحيباً واسعاً لا سيما من الشعوب التي اكتوت بنيران الاضطهاد بدوافع من العنصرية العرقية والدينية، ومحاولة القضاء على التنوع الثقافي، ومواجهة

سنة الخالق جل وعلا في التنوع والتعددية بأساليب العسف والقوة، فلا إكراه في اعتناق الأديان ولا الأفكار ولا الثقافات .

وأشار إلى أن اجتماع القمة الديني سوف يعكس هذه الرغبة بصدق وإخلاص، إذا حاول كل طرف أن يعزز جانبه في هذا العمل الإنساني المشترك البَنَّاء، بما لديه من قناعات صائبة تحرك في داخله مشاعر العدل والإحسان، وحب الخير للناس من حوله.

وأوضح معاليه أن السعادة البشرية التي نسعى في البحث عنها وتوسيع آفاقها تستمد مقوماتها من القواسم المشتركة في المفاهيم والمنطلقات، والنظرة الإيمانية إلى الإنسان والكون والحياة، مفيدًا أن هذه النظرة التي اكتسبها المسلمون من الوحي الإلهي، تؤكد لديهم أن الأسرة البشرية تَمُتُّ إلى أصلها الأول بنسب واحد وفقًا لقول الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)).

• ندعو للتصدي لأطروحات الصراع المادي بين الأمم والصدام الديني والحضاري

وبين معاليه أن الله جعل هذا العالم الذي يحيط بنا مليئًا بالطاقات والنواميس المسخرة لخدمتنا، مستشهدًا بقول الخالق جل وعلا: ((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)) .

وقال الشيخ العيسي: إن الحضارة التي صنعها الإنسان على وجه الأرض، وتداولت عليها الأمم بتجاربها المحفوظة في سجلات التاريخ، تُعتبر اليوم تراثاً إنسانياً مشتركاً بين جميع الناس في هذا الزمن المتميز بسرعة الاتصال، والتداخل في العلاقات، وزوال الحدود الفاصلة بين المجموعات الثقافية، والمرجو من زعماء الفئات الدينية، وقادة الفكر الإنساني أن يقدموا رؤىً بنَّاءة في أشكال التعاون الإيجابي، في ظل هذا التداخل والتواصل.

وشدد معاليه على أن رابطة العالم الإسلامي لا تحمل هموم العالم الإسلامي فحسب، وإنما تحمل هم الإنسانية جمعاء، فرسالة الإسلام إنسانية عالمية تسعى فيما تسعى إليه للدفاع عن الحقوق والحريات بالأساليب المشروعة كما تحرص على تطبيق المواثيق العادلة التي قررتها المواثيق والاتفاقات والصكوك والمبادئ والأعراف الدولية، مستدلًا بقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وأعرب معاليه عن أمله في أن تسفر أعمال هذا الاجتماع عن نتائج تتصدى لأطروحات الصراع المادي بين الأمم والصدام الفكري بين الثقافات والحضارات وفي سياقها الصراع الديني والطائفي، وصولاً لتعزيز الخط المضاد لها، وهو خط الدعوة إلى السلام وتوسيع آفاق التعايش، وذلك بفتح قنوات الحوار الجاد والمثمر بين مختلف الفئات الدينية والقيادات الفكرية والأقطاب الثقافية والحضارية.

كما أعرب معاليه عن أمله في أن تتواصل جهود الاجتماع مع الجهود المتميزة التي تبذلها المملكة العربية السعودية في ذلك الإطار بوصفها قبلة أكثر من مليار وثمانمائة مليون مسلم في صلواتهم وحجهم، ومن ورائها رابطة العالم الإسلامي باعتبارها الرابطة العالمية للشعوب الإسلامية، ومقرها المكان المقدس الأول للمسلمين وهي مكة المكرمة، وفي مجلسها الأعلى وهيئاتها ومجامعها العالمية أكثر من مائة عالم ومفكر من أبرز علماء ومفكري وناشطي العالم الإسلامي.

ودعا معاليه الجميع إلى تعزيز التواصل بهذه الأدوات القوية والمؤثرة في سبيل الوصول إلى مسار الحوار المنشود، تحقيقاً للتعايش الإيجابي والتعاون البنّاء حول مشتركاتنا الإنسانية والقيمية وهي كثيرة؛ لمواجهة التحديات التي تؤرق حكماء الأمم، وتلمس الحلول الناجعة للمشكلات والأخطار التي تعاني منها شعوب العالم، باعتبار أن التوجه الصادق والجاد والمحايد لأتباع الأديان هو المحور الرئيسي لمعالجة تلك المشكلات .

وتوجه معاليه في ختام كلمته بالشكر الجزيل إلى السيد كويي موريكاوا على المبادرة التي سعت من خلالها طائفة تانداي الدينية لتأسيس هذا الاجتماع العالمي الحافل مشيدًا بجهودهم في إيجاد علاقات إيجابية تعاونية و بناءة بين الكيانات الدينية كافة، والمجتمع الإنساني العام، للعمل على نشر تلك القيم بين الأمم والشعوب، وتخليص الدين من روح العداوة والبغضاء، المستحوذة على بعض النفوس الشريرة، التي ترى السعادة في إطلاق العنان لنزوات الطغيان والعدوان والكراهية المجردة ، وإرهاب الناس بشتى ألوان الرعب.

بدعوة رسمية من الحكومة اليابانية...

رابطة العالم الإسلامي تمثل المقعد الإسلامي في ذكرى قنبلة هيروشيما

رئيس المركز الإسلامي في طوكيو: التقدير الدولي لرؤية الرابطة الجديدة فكرياً وإنسانياً أكسبها الحضور العالمي

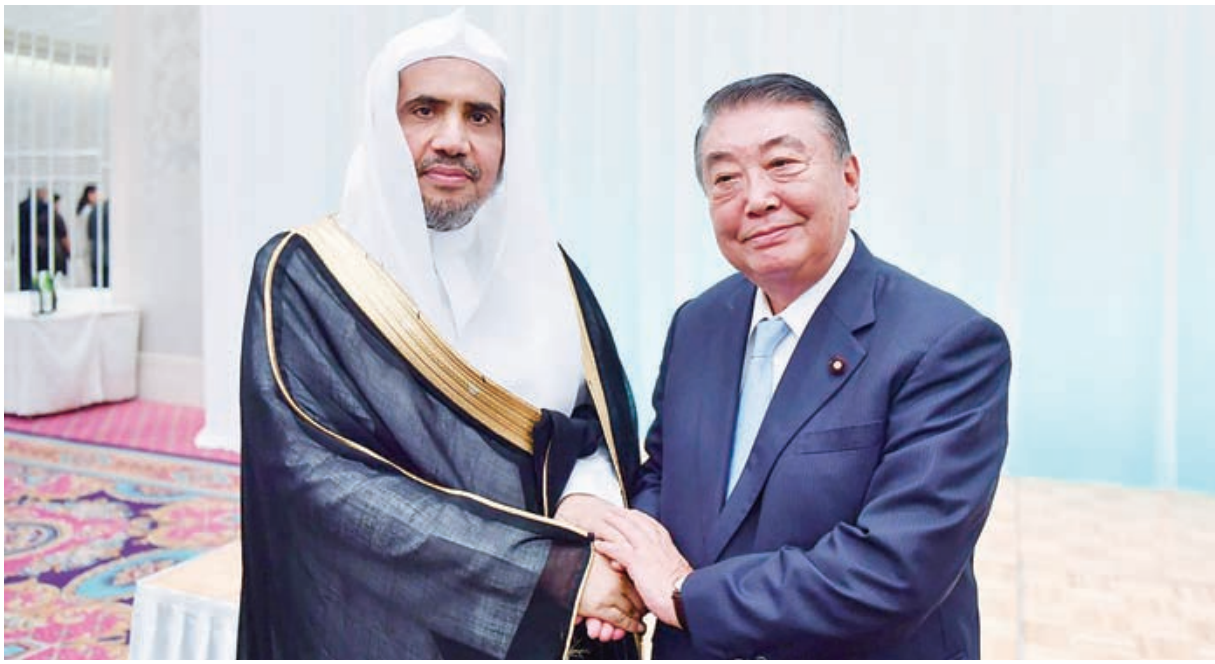

معالي الأمين العام يلتقي برئيس البرلمان الياباني.

هيروشيما:

بدعوة رسمية من الحكومة اليابانية شارك معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في مراسم الذكرى السنوية الثانية والسبعين لسقوط القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما، وسط حضور دولي غفير شمل دبلوماسيين من الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوربي، ورموزاً دينية وفكرية عالمية.

وشهدت المراسم عدداً من الكلمات التي استذكرت المأساة وحثت المجتمع الدولي على العمل سوياً نحو عالم خال من أسلحة الدمار الشامل، كما حيت الشعب الياباني الذي استطاع أن يتجاوز المأساة وينهض مِنْهَا ليحتل مكانته الرفيعة في قائمة الدول المتقدمة.

واعتبر معالي السفير السوداني السابق في طوكيو رئيس المركز الإسلامي (وهو المؤسسة الدينية اليابانية المستقلة ومقرها طوكيو) الدكتور موسى عمر، أن الحضور الدولي للرابطة جاء على إثر رؤيتها الجديدة التي عززت من تموضعها على المستوى العالمي، مشيراً إلى أن الرابطة هي المؤسسة الدينية التي مثلت الجانب الإسلامي في هذا الاحتفال ضمن كبار الشخصيات والمؤسسات والهيئات العالمية وهو ما ترجم تميز الحضور المهم للرابطة في بُعده التاريخي والدولي وحجم الثقة بهذه المنظمة الإسلامية بعد تعزيز مكانتها حول العالم، حيث شغلت المقعد الإسلامي في هذه الذكرى.

وأضاف رئيس المركز الإسلامي في طوكيو قائلاً إن «التقدير الدولي للرؤية الجديدة لرابطة العالم الإسلامي ـ فكرياً وإنسانياً ـ أكسبها هذا الحضور العالمي الذي يسعدنا غاية السعادة ونرجو لها المزيد من الحضور والتواصل لأن هذا يعود في النهاية لخدمة سمعة الإسلام والمسلمين وكم كنا بحاجة إلى مثل هذا التواصل مع الجميع، والإسلام دين الحكمة وبُعد النظر ومتى انعزل المسلمون عن غيرهم في مثل المناسبات الدولية تم إقصاؤهم وعدم الارتياح لمؤسساتهم وبالخصوص أهمها بل قائدتها أعني رابطة العالم الإسلامي، وهذا التوجه للرابطة يريحنا كثيراً

عمدة مدينة هيروشيما يقدم لمعالي الأمين العام د. محمد العيسى أوراق اعتماده عضواً في جمعية مدن السلام العالمية.

زعيم الحزب الحاكم الياباني مرحباً بمعالي الأمين العام أثناء فعاليات الاحتفال العالمي بالذكرى النووية لمدينة هيروشيما.

ويعطينا أملاً جديداً نعتقد أنه سيُغيِّر الكثير بل في الواقع لمسنا تغييره ومن ضمن ذلك برنامج الزيارة الحالية لمعالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي لليابان الحافلة بالبرامج الحكومية والأهلية، حيث التقى مسؤولين يابانيين كباراً وحضر مؤتمراً عالمياً في غاية الأهمية كما حضر فعاليات الذكرى السنوية لسقوط القنبلة الذرية على هيروشيما والأهم في هذا أن حضور معاليه لهذه الفعاليات كان بدعوة يابانية رسمية توجه لأول مرة لمؤسسة دينية إسلامية بحجم الرابطة».

يذكر أن مراسم الفعاليات شهدت حضورا كبيرا من القيادات اليابانية شمل رئيس مجلس النواب الياباني ، ورئيس الوزراء شيزو ابي، ووزير الخارجية الياباني تارو كونو.

محافظ منطقة هيروشيما مستقبلاً في مكتبه معالي الدكتور محمد العيسى بحضور كبار مسؤولي المحافظة.

ومحافظ منطقة هيروشيما هيدي ايه كو يوزاكي، وعمدة مدينة هيروشيما كازومي ماتسوي، ورئيس حزب الكوميتو المتحالف مع الحزب الحاكم، بالإضافة إلى ممثلين عن ثمانين دولة من أنحاء العالم.

إلى ذلك وفي سياق زيارة معالي أمين عام الرابطة لمدينة هيروشيما التقى معاليه برئيس البرلمان الياباني تادامورى أوشيما، حيث جرى الحديث حول عدد من الاهتمامات المشتركة، مثمناً للرابطة حضورها واهتمامها بالتواصل مع المسؤولين اليابانيين لبحث سبل التعاون فيما يخدم المصالح المشتركة.

كما التقى معاليه بمحافظ منطقة هيروشيما هيدي ايه كو يوزاكي، الذي رحب بمعاليه مقدراً للرابطة مشاركتها اليابانيين احياء ذكرى سقوط القنبلة الذرية على هيروشيما، لافتاً النظر إلى أن رابطة العالم الإسلامي محل ترحيب المسؤولين في المحافظة للعمل سوياً نحو مزيد من التعاون.

من جهة أخرى استقبل عمدة مدينة هيروشيما كازومي ماتسوي، معالي أمين عام الرابطة، مرحباً به وبالوفد المرافق، ومشيراً إلى أن حضور الرابطة لهذه المناسبة هو رسالة سلام مؤثرة تضاف إلى رصيد الطرفين وتعني الكثير لأبناء المحافظة.

وقد سلم عمدة هيروشيما للشيخ العيسى خلال الاستقبال أوراق اعتماد معاليه عضواً في جمعية مدن السلام العالمية، التي تعنى بالتعاهد على تحقيق مبادرة «مدن سلام بلا اسلحة دمار شامل»، مؤكدا ثقته بأن عضوية معالي أمين عام الرابطة ستسهم في انضمام المزيد من الفعاليات والمدن لهذه المبادرة.

د.العيسى يوصي الجالية المسلمة في اليابان بتعزيز روح الاندماج الإيجابي والتعاون الإنساني مع أطياف مجتمعهم

د.العيسى خلال حفل افتتاح أكاديمية المحبة اليابانية وإلى جواره شقيق الإمبراطور الياباني هيوهاشي اوكيميتسو الذي حضر الحفل

طوكيو:

بحضور شقيق الإمبراطور الياباني هيوهاشي اوكيميتسو والعديد من الشخصيات العلمية والفكرية والدبلوماسية افتتح معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى خلال زيارته لليابان بطوكيو أكاديمية المحبة اليابانية، وتجول معاليه في مرافقها، كما اطلع على تجهيزاتها التقنية والتعليمية، والتقى أعضاء هيئتها.

من جهة أخرى قام معالي الأمين العام بزيارة لمؤسسة ساساكاوا للسلام، المتخصص لتعزيز التفاهم والتبادل والتعاون الدوليين، ورفاه البشرية والسلم الدولي.

وكان في استقبال معاليه رئيس المؤسسة السيد يوهي ساساغاوا، الذي رحب بمعاليه، موضحاً أن المؤسسة من منطلق اهتمامها بالتعايش بين القيم والثقافات، وتعزيز الأمن الاجتماعي تتطلع للتعاون مع الرابطة للاستثمار في هذا المجال ولتعزيز قيم التعايش بين اليابان ودول العام الإسلامي.

وقد رحب معالي الأمين العام بالتعاون المشترك فيما يعود بالفائدة على السلم العالمي ودعم قيم التعايش والتعاون والتبادل - الإيجابي - الثقافي والحضاري، مبيناً أن رؤية الرابطة المتجددة تركز على التعاون مع الجميع لتحقيق الأمن الفكري والاجتماعي وهزيمة التطرف الذي ينشط في مناطق الفراغ والصراع والجهل والفقر.

وفي سياق الزيارة قام معالي الأمين لرابطة العالم الإسلامي بتلبية دعوة من اللجنة الأولمبية اليابانية ٢٠٢٠، لزيارتها واللقاء بأعضائها، حيث تلقت الرابطة خلال اللقاء طلباً من اللجنة للتعاون معها في مجال ترتيب الحضور الإسلامي لتأمين خصوصيته واستطلاع ثقافته وتنوعها.

وقدم رئيس اللجنة السيّد يوكيهيكو مورا خلال اللقاء الذي تم في مقر اللجنة شرحاً عن الاستعدادات لاستقبال الحدث الرياضي الكبير، مشيراً إلى أن اللجنة تتطلع للتعاون مع الرابطة إيماناً بموثوقيتها العالية بين الشعوب الإسلامية.

إلى ذلك وفي اليوم الأخير من الزيارة نظمت رابطة العالم الإسلامي لقاءً موسعاً جمع قيادات الجالية الإسلامية في اليابان بحضور معالي الأمين العام.

وبحث اللقاء سبل توحيد كلمة الجالية المسلمة في اليابان، ودعم تكوين مجلس أعلى لها ليكون ممثلا للجالية يضبط السياسات العامة للمراكز والمعاهد الإسلامية ويدعم تنسيق المواقف فيما بينها، ويصلها بالمؤسسات اليابانية الرسمية وتكون على صلة شفافة وواضحة بتلك المؤسسات من خلال رفع التقارير والاستطلاعات والإحاطات مع احترام قانون

د.العيسى يلقي كلمة في حفل افتتاح أكاديمية المحبة اليابانية

معالي الأمين يلقي كلمته في اجتماع الجالية المسلمة في اليابان

الدولة وأن يكون هذا المجلس مجـــازاً من الحكومة اليابانية في ترخيصه واعترافها به كممثل رســـمي ومجـــازاً في أعضائه بحيـــث لاتتحفظ على أي منهم الحكومة اليابانية حيث اتفق المشـــاركون على مواصلة بحث المشـــروع في جلسات لاحقة وذلك على غرار عمل الجاليات الأخرى .

وأوضح معالي الأمين خلال اللقاء أن الرابطة بوصفها منظمة دولية تمثل الشعوب الإسلامية تجد نفسها ملزمة بكل ما من شـــأنه توحيد كلمة المسلمين وتثقيفهم ودعم جهود قيادات العمل الإسلامي نحو الأداء المؤسسي.

وأشـــاد معاليه بالنموذج المميز الذي تقدمه الجالية المسلمة فـــي اليابان وارتياح الحكومة لها من خلال اســـتطلاع الرابطة خلال هذه الزيارة داعياً إلى أهمية المحافظة على هذا المكتسب الكبيـــر والمهـــم للغاية بـــل وتنميتـــه، مؤكداً علـــى أهمية بناء علاقات قوامهـــا الثقة والتعاون والشـــفافية مع الأفراد والمؤسسات العامة والخاصة ودعوتها لحضور مناسبات الجالية الإسلامية ومؤسســـاتها وعقد صداقات معها ودعم وإسناد الفئات المحتاجة ســـواء كانت إسلامية أو غير إسلامية وأن هذا في طلائـــع تأليف قلوبها وتعزيز ثقتها وصداقتها، والإســـلام يحفل بالخير ويدعم به الجميـــع؛ ففي كل كبد رطبة أجر، وقد قال الله تعالى: «لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَـــنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِـــطِينَ»، هذا هو أفق الشريعة وإنسانيتها، ودين الإســـلام جاء رحمةً للعالمين في الهداية والرعاية والبذل والعطاء، وفـــي هذا قصص لانطيل بذكرها حوّلت مســـار أمم وليس أفراداً إلى الطريق السوي بفعل هذه الحكمة الإسلامية، وكم من غافل عنها أو ضال في تأويلها، مشيرا معاليه إلى أن الرابطة تزور اليابان هذه الايام لتعزيز هذه الرؤية الحضارية التي تنبع من الأفق الإسلامي الحكيم وبحث سبل دعمها.

- جانب من حضور اجتماع الجالية المسلمة في اليابان الذي رعته الرابطة في طوكيو

الأمين العام للهيئة العالمية للكتاب والسنة مستنكراً فعل الميلشيات الحوثية:

الاعتداء على مكة المكرمة تجاوز للمحرمات

استنكر الأمين العام للهيئة العالمية للكتاب والسنة الدكتور عبد الله بصفر, باسمه ونيابة عن منسوبي الهيئة إطلاق الحوثيين صاروخًا موجهاً نحو مكة المكرمة, ووصف الدكتور بصفر هذا الهجوم بالعمل الإجرامي الذي تقوده جماعة الحوثيين المنحرفة التي لا علاقة لها بالدين أو الإنسانية, وتستبيح دماء الأبرياء في بيوت الله الآمنة. وقال فضيلته : لا يمكن لمؤمن أن يمس بالمقدسات كما فعلت الميليشيات الحوثية, والاعتداء على مكة تجاوز للمحرمات, مؤكدًا أن هذا إجرام خبيث لا يمكن أن يحدث ممن في قلبه مثقال ذرة من الإيمان, والمتأمل في التاريخ يجد أن كل من أراد بيت الله بسوء فإن الله يرد سوءه عليه قال سبحانه وتعالى: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ), وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ*أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ*وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ*تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ*فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) وقال بصفر إن استباحة دماء الأبرياء في بيوت الله الآمنة,جرم كبير يقول المولى عز وجل (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا «أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ» لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ). وهذا يدعو الدول الإسلامية لمساندة التحالف العربي للقضاء على هذه الحثالة الباقية الفاسدة. وأشار بصفر إلى أن المجتمع السعودي بفضل الله يعي هذه الأهداف الخبيثة, للنيل من أمننا واستقرارنا, وهذا لا يزيدنا إلا قوة وتلاحماً وتألفاً إن شاء الله, داعياً الله سبحانه وتعالى أن يحفظ لبلاد الحرمين أمنها واستقرارها, بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود, وسمو ولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان حفظهما الله, وأن نكون يداً واحدة ضد المتربصين بأمن واستقرار بلادنا العزيزة وأن يحفظ الله عز وجل بلاد الحرمين الشريفين من كل سوء ومكروه.

أجرت ٥٥٠ عملية جراحية لإزالة المياه البيضاء

رابطة العالم الإسلامي تنفذ برنامجاً لمكافحة العمى في تشاد

الرياض:

نفذت رابطة العالم الإسلامي, عبر هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية (٥٥٠) عملية جراحية لإزالة المياه البيضاء من العيون, وزراعة عدسات داخل العين, بالإضافة إلى توزيع ٥٠٠ نظارة طبية وشمسية, على المرضى في المخيم الطبي الذي أقامته في مدينة بنجور في جمهورية تشاد, وبلغ إجمالي المستفيدين من المخيم الطبي ٤٥٠٠ مريضاً ومريضة.

وتأتي هذه الحملة الطبية والتي استمرت لمدة ٥ أيام (٢٧ يوليو - ١ أغسطس) بالتعاون مع مؤسسة البصر الخيرية العالمية, تنفيذاً لتوجيهات معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى لتقديم الخدمات الصحية للفقراء والمحتاجين في عدد من الدول الفقيرة.

وأشار مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي الإقليمي في غرب أفريقيا الأستاذ محمود عمر فلاتة, إلى أن رابطة العالم الإسلامي تقوم عبر هذه المخيمات بعلاج أناس قد أصيبوا بالعمى وفقدوا أعمالهم وتأثرت أسرهم, فكان علاجهم سبباً في عودتهم لأعمالهم وتيسر أمورهم المعيشية واستقرار أسرهم.

وأضاف فلاتة: إن فريقاً طبياً متخصصاً برئاسة الاستشاري

السعودي الدكتور ياسر المزروعي, شارك في الكشف على المرضى وإجراء العمليات الجراحية.

وفي شأن متصل, تحدث حاكم منطقة بنجور التشادية السيد رمضان دقويرو, قائلاً «إننا نتطلع مع رابطة العالم الإسلامي لمواصلة الجهود في هذا المسار نظراً لوجود أعداد كبيرة من مرضى العمى المحتاجين لمثل هذه العمليات, مع أمنياتنا بإنشاء مركز دائم لعلاج العيون في تشاد».

رابطة العالم الإسلامي تقيم مسابقة قرآنية عبر الهيئة العالمية للكتاب والسنة بالتعاون مع جمعية دار البر للأعمال الخيرية في فلسطين

فلسطين - غزة:

نظمت رابطة العالم الإسلامي عبر الهيئة العالمية للكتاب والسنة بالتعاون مع جمعية دار البر للأعمال الخيرية مسابقة قرآنية في فلسطين شارك فيها ١١٥ متسابقاً.

وقال الأمين العام للهيئة العالمية للكتاب والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله بصفر: إنه تنفيذاً لتوجيه الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي معالي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، أقامت الهيئة العالمية للكتاب والسنة مسابقة قرآنية في غزة بفلسطين، اشتملت على ثلاثة أجزاء، هي: حفظ القرآن الكريم كاملاً مع حفظ منظومة الجزرية، وحفظ القرآن الكريم كاملاً مع حفظ معاني الكلمات، وحفظ القرآن الكريم كاملاً مع التجويد والترتيل، وقد كونت لجنة تحكيم لهذه المسابقة من ستة أعضاء، وأشار الدكتور بصفر إلى أنه بعد التصفيات النهائية أقيم احتفال تكريمي للمشاركين فيها حضره سماحة الشيخ حسن إسماعيل اللحام مفتي محافظة غزة وعضو مجلس الإفتاء الأعلى بفلسطين، والأستاذ محمود رمضان النيرب وكيل وزارة الأوقاف، والأستاذ الدكتور محمد مصطفى نجم عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر بغزة، وعدد من مشايخ القرآن والطلاب وأولياء أمورهم، بدأ الحفل بآيات

من الذكر الحكيم، ثم ألقيت بعض الكلمات عبر فيها المتحدثون عن سرورهم وسعادتهم لإقامة هذه المسابقة، وتحدثوا عن فضل القرآن وحفظه وأهميته للمجتمعات المسلمة، وشكروا حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، كما شكروا القائمين على تنظيم المسابقة، وخصوا بالشكر رابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية على ما تقدمانه في سبيل خدمة القرآن ورعاية حفظته في كثير من دول العالم، بعد ذلك وزعت الجوائز على الفائزين والمشاركين.

رابطة العالم الإسلامي تقيم عبر الهيئة العالمية للكتاب والسنة

حفل تخرج بالتعاون مع الإدارة الدينية لمسلمي قرغيزيا ومعهد عبدالله بن عباس

بيشكك:

نظمت رابطة العالم الإسلامي عبر الهيئة العالمية للكتاب والسنة بالتعاون مع الإدارة الدينية لمسلمي قرغيزيا ومعهد عبد الله ابن عباس حفلاً تكريما لـ ٣٨ خريجاً في قرغيزيا. وقال الأمين العام للهيئة العالمية للكتاب والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله بصفر: إنه تنفيذاً لتوجيه الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي معالي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، أقامت الهيئة العالمية للكتاب والسنة حفلاً تكريمياً للخرجين، حضره سماحة نائب المفتي السيد جوراباي ومشرف كلية القرآن الدكتور علي منصور ومدير جمعية الإحسان الخيرية السيد موسى مرزا ومدير المعهد موسى جبارة ومندوب الهيئة العالمية الدكتور عادل رفاعي وعدد من العلماء، وحفظة القرآن الكريم، وجمع من المواطنين.. بدأ الاحتفال بتلاوة من الذكر الحكيم، ثم ألقيت بعض الكلمات عبر فيها المتحدثون عن دور رابطة العالم الاسلامي والهيئة العالمية في خدمة

القرآن الكريم ورعاية حفظته على مستوى العالم، ونوهوا بالجهود التي تبذلها حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز في خدمة الإسلام والمسلمين، وفي الختام تم توزيع الشهادات والهدايا على الخريجين.

مدير إدارة التنمية الاجتماعية في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية لـمجلة (الرابطة):

رابطة العالم الإسلامي تكفل (٨٤,٥٧٥) يتيما ويتيمة في (٣٥) دولة

حوار ـ طلال عفيفي

برنامج كفالة الأيتام ورعايتهم والاهتمام بهم وانتشالهم من مزالق الضياع، برنامجٌ طَموح تتولاه رابطة العالم الإسلامي وتنفذه عبر ذراعها -هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية- منذ أكثر من ربع قرن، حقق إنجازات كبيرة، وفتح الطريق لكثير من الأيتام للولوج إلى الحياة وهم مسلحون بالعلم والخبرة الفنية والتأهيل المهني والأكاديمي؛ فتبوأت أعداد منهم مناصب رفيعة في بلادهم، وكان لهذا البرنامج بعد الله سبحانه وتعالى الفضل في تأهيل هؤلاء الأيتام وانتشالهم من الضياع.

كيف بدأ هذا البرنامج؟ وما الأهداف التي ارتكزت عليها هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في إنشاء إدارة خاصة تهتم برعاية الأيتام، وتؤهلهم وترعاهم من كافة الجوانب؟ وما أهم الإنجازات الملموسة التي حققتها الهيئة في مجال كفالة الأيتام؟

الأستاذ إبراهيم طارق الشاوي مدير إدارة التنمية الاجتماعية في الأمانة العامة لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية يجيب في حوار موسع عن هذه الأسئلة، ويؤكد في هذا اللقاء أن الهيئة فتحت لنفسها نوافذَ جديدةً للتعامل مع فئة الأيتام،ومنحتهم قدرًا كبيرًا من الاهتمام والرعاية.

يقول مدير إدارة التنمية الاجتماعية في بداية حديثه: إن الله-عز وجل- يقول في محكم كتابه العزيز: «يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم». ويقول رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي يرويه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا -وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما».

ويضيف الشاوي: لقد سطرت آيات كتاب الله -عز وجل- وهدي نبيه المصطفى -عليه الصلاة والسلام- أعظم أبواب الخير والتكافل والعطاء، وهو باب يقوم على كفالة اليتيم ومسح دمعته ورسم البسمة على محياه، باب حثنا عليه رسولنا الكريم ورغَّبَ فيه، وجعله من أسباب لين القلب وإدراك الحاجة؛ فأرشدنا إليه حين قال للرجل الذي أتاه يشكو قسوة قلبه بقوله عليه الصلاة والسلام: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم

اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك».

ولهذا كان واجبنا في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بذل كل المستحيل من أجل هؤلاء الأيتام الذين فقدوا الرعاية، وفقدوا حنان الأب والأم انطلاقًا من تعاليم ديننا الحنيف الذي يحثنا على ذلك، ومن رسالتنا الإنسانية في مساعدة الضعفاء أينما كانوا.

وإلى مضابط الحوار مع طارق الشاوي مدير إدارة التنمية الاجتماعية:

الأهداف والمرامي:

• ما أهم الأهداف الأساسية من إنشاء إدارة التنمية الاجتماعية؟

إن من أهم الأهداف التي جعلت الهيئة تبحث عن الأيتام وتتكفل برعايتهم أن هناك أعدادًا هائلة من الأطفال الصغار فقدوا حنان الأب أو الأم أو الاثنين معًا، فباتوا يصارعون أمواج الحياة المتلاطمة،فكان لا بد للهيئة في مثل هذه الحالات أن تكون بمثابة طوق نجاة لهؤلاء الأيتام؛ خصوصًا وأن الهيئة -بعد عون الله سبحانه وتعالى- وجدت تجاوبًا كبيرًا من ذوي القلوب الرحيمة من أبناء شعب المملكة العربية السعودية المعطاء، فكانت لهذه الإسهامات السخية الأثر الفعال في تحقيق هذه الأهداف.

وأضاف أن الهيئة تمكنت من نشر الكثير من الفضائل والقيم

والمُثُل النبيلة في أعماق هؤلاء الأطفال؛ ذلك أن هذه الفئة وفي ظل الفقر والمعاناة يمكن أن تسلك طريق الغواية والجنوح لا قدر الله تعالى.

ومن الأهداف التي تسعى إليها الهيئة في هذا المجال: تأهيل الأيتام بكل السبل والوسائل المتاحة، ورعايتهم رعاية شاملة (دينية - مالية - اجتماعية - تعليمية - تربوية - مهنية - صحية - ترفيهية)، وتوفير الأمان لهم، وحمايتهم من المؤثرات والاتجاهات الفكرية المنحرفة، وإيجاد مناخ صالح لنشأتهم ليكونوا أعضاء نافعين لمجتمعهم.

ومن الأهداف أيضًا غرس المبادئ والفضائل الإسلامية في نفوس الأيتام والأطفال المحرومين، وتربيتهم تربية إسلامية قويمة، ورفع المعاناة والعوز عنهم،وتوفير حياة كريمة آمنة لهم.

وتهتم إدارة التنمية الاجتماعية ضمن أنشطتها الأخرى بتطوير قدرات ومهارات النشء المسلم والمرأة المسلمة (تعليميًّا- مهنيًّا) ليكونوا أعضاء نافعين لأسرهم ومجتمعهم، ومساعدة الأسر الفقيرة والمحتاجة من الفقراء والمساكين، وكذلك مساعدة أسر السجناء والمدينين وذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن وغيرهم.

التنمية المستدامة:

• إدارتكم تُعْنَى بالتنمية الاجتماعية المستدامة. ما خططكم لتحقيق هذه التنمية؟ وهل لديكم مشاركة مع القطاع الخاص لتحقيق ذلك؟ وما الآليات لتحقيق ذلك؟

بالطبع هناك العديد من الوسائل والآليات التي تتخذها الهيئة من أجل الوصول لهذا المبتغى؛ فهناك أيتام يعيشون مع أسرهم بعد أن فقدوا آباءهم، وبالتالي فإن الهيئة تبحث عنهم وتقدم لهم العون المادي لمواجهة أعباء الحياة، ثم إن الهيئة تقوم بإنشاء بعض الدُّور لإيواء الأيتام الذين فقدوا آباءهم أو والديهم معًا، وتحيطهم بكل البرامج التربوية والتوعوية والتعليمية والصحية، وفي نفس الوقت فإن للهيئة جسورًا من التعاون والتنسيق مع بعض دُور الأيتام التابعة لبعض الجمعيات الخيرية في بعض الدول الآسيوية أو الأفريقية الموثوق بها التي تحمل تصاريح رسمية للعمل في هذا المجال، فتقدم لهم خدماتها المتعددة المتعلقة بالنواحي الإنسانية، إضافة إلى مشروعها الرائد (الأسر المنتجة) الذي يهدف إلى النهوض بمستوى تلك الأسر الحاضنة لأولئك الأيتام عبر إنشاء بعض المراكز التدريبية لتدريب الأيتام وأمهات الأيتام والفقراء والمساكين على حرفة تتناسب مع بيئتهم، تساعدهم في كسب الرزق الحلال.

رعاية أعداد كبيرة من الأيتام:

• ترعى الهيئة أعدادًا كبيرة من الأيتام في عدد من الدول. هل يمكن أن تعطينا فكرة عن عددهم والدول التي يوجد فيها هؤلاء الأيتام؟ وعدد دُور الأيتام التابعة للهيئة؟

لقد قفز عدد الأيتام المسجلين لدى هيئة الإغاثة الذين كفلتهم الهيئة منذ نشأتها وحتى تاريخه حوالي (٣٦٧,٤٥٢) يتيمًا. وتكفل الهيئة حاليًّا (٨٤,٥٧٥) يتيمًا ويتيمة في (٣٥) دولة.

كما أنشأت إدارة التنمية الاجتماعية منذ إنشائها أكثر من ثلاثين دارًا للأيتام،بينما تدير حاليًّا (٢٣) دارًا للأيتام منها (١٢) دارًا في بعض الدول الآسيوية، والبقية في بعض دول قارة إفريقيا.

والدول التي يوجد فيها أيتام الهيئة هي:

بلغاريا، ألبانيا، البوسنة والهرسك، كوسوفا، مقدونيا، الأردن، لبنان، اليمن، باكستان، تايلند، بنجلاديش،سريلانكا، فلسطين، مصر، المغرب، السودان، تشاد، مالي، موريتانيا، غينيا، كوناكري، تنزانيا، الصومال، نيجيريا، السنغال، كينيا، زمبابوي، جامبيا، بوركينافاسو، جيبوتي، تونس، ملاوي، غانا، الكاميرون، جنوب الصومال،(لاجئو سوريا في مصر، لاجئو سوريا في الأردن، لاجئو سوريا في لبنان).

• كيف تتوصلون إلى هؤلاء الأيتام في تلك المناطق البعيدة؟

حينما توجهت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية إلى تلك الأماكن القصية والمحفوفة بالمخاطر في إفريقيا وآسيا كانت تبحث عن أولئك (الأيتام) الذين قذف بهم أتون الحروب الأهلية والصراعات العرقية والطائفية، وهي جهود كبيرة شدت انتباه المسؤولين في تلك الدول الآسيوية والأفريقية لما تقوم به الهيئة من أجل هذه الفئة المحرومة.

وعلى الرغم من أن قوافل الهيئة -ومن أجل هذه الغاية النبيلة- تلاقي الكثير من الصعاب إلا أن النفس التواقة للعمل الخيري والإنساني هي التي دفعت هذه الوفود إلى تكبُّد المصاعب، واللحاق بأطفال صغار فقدوا دفء وحنان الأسرة، وكاد الضياع أن يبتلعهم، وتحقق التواصل مع هؤلاء الأيتام عبر مكاتبنا وممثلياتنا في تلك الدول، وتولي المشرفين في هذه المكاتب بترتيب كافة الأوراق والإجراءات المطلوبة لتسجيلهم، ولدى كل مكتب حاليًّا قاعدة بيانات ومعلومات عن كل يتيم تشمل صورة من استمارة اليتيم ومرفقاتها (صورة من شهادة الوفاة للأب - صورة من شهادة ميلاد اليتيم)- عنوان اليتيم - والمرحلة الدراسية له- تليفون اليتيم والمعيل».

مشروع الأسر المنتجة:

• ديننا الحنيف يدعونا إلى الاهتمام بالأيتام... ما الوسائل المتبعة لتحقيق العناية والرعاية للأيتام؟

بالطبع توجد العديد من الوسائل التي تتخذها الهيئة من أجل الوصول لهذا المبتغى؛ فهناك أيتام يعيشون مع أسرهم بعد أن فقدوا آباءهم، وبالتالي هي تبحث عنهم وتقدم لهم العون المادي، ثم إن الهيئة تقوم بإنشاء بعض الدُّور لإيواء الأيتام الذين فقدوا آباءهم أو والديهم معًا، وتحيطهم بكل البرامج التربوية

والتوعوية والتعليمية والصحية.وفـــي نفس الوقت فإن للهيئة جسورًا من التعاون والتنسيق مع بعض دُور الأيتام التابعة لبعض الجمعيات الخيرية في بعض الدول الآسيوية أو الأفريقية الموثوق بها، والتي تحمل تصاريح رسمية للعمل في هذا المجال، فتقدم لهم خدماتها المتعددة المتعلقة بالنواحي الإنسانية، وتكفـــل أعدادًا من الأيتام الموجودين لـــدى هذه الجمعيات، إضافة إلى مشـــروعها الرائد (الأســـر المنتجة) الذي يهدف إلى النهوض بمستوى الأسر الحاضنة لأولئك الأيتام.

إنجازات الهيئة في مجال الأيتام:

• هل يمكـــن أن نتعرف على الإنجازات الملموســـة التي حققتها الهيئة في مجال كفالة الأيتام؟

هذا ســـؤال مهم؛ ذلك لأن أي مشروع ناجح لابد أن تتبعه إنجازات، غير أن الإنجازات المرتبطة بكفالة الأيتام في الهيئة يمكن وصفها بـ (بالإنجازات المتقدمة) والسبب بالطبع،-بعد عون الله سبحانه وتعالى- هو اهتمام أصحاب القلوب الرحيمة بمثل هذه الفئة،ثم الأســـاليب التي تنتهجها الهيئة لتطوير أعمالها في هذا المجال؛ مما أغرى هؤلاء المســـاهمين بتقديم المزيد من الهبات لكفالة المزيد مـــن الأيتام؛ حيث إن بعضًا منهم يكفل بمفرده أكثر من ٧٠ يتيمًا ويتيمة، وبالتالي قفز عدد الأيتام المسجلين لدى الهيئة حاليًّا إلى (٨٤,٥٧٥) يتيمًا ويتيمة.

ومن ضمـــن إنجـــازات الهيئة في مجـــال كفالة الأيتام: إنشـــاء مراكز اجتماعيـــة لخدمة الأيتام تتوفر فيهـــا الخدمات الصحية، والتعليمية،والاجتماعية، بجانب ميادين أخرى تتمثل في الإشراف التربوي والتدريب المهني، وتأهيل لأمهات الأيتام في بعض المجالات المهنية مثل الخياطة أو الحاســـوب إضافة إلى مشـــروع الأســـر المنتجة.

واســـتحدثت هيئة الإغاثة الإســـلامية العالمية أيضًا من ضمن إنجازاتها برنامجًا تحت مسمى (الرعاية اللاحقة) تكمن مهامه في متابعة أحوال اليتيم والاهتمام به وتزويده بالعون المادي والتأهيل النفسي والاجتماعي بعد بلوغ السن الشرعية لانتهاء الكفالة، وتحول الكفالة إلى كفالة طالب.

والهيئة في مثل هذه الحـــالات الصعبة تعمل بكل قواها لتكون عضدًا بعد الله عز وجل في تجاوز اليتيم تلك المرحلة واستمرارية المساعدة له، والمضي في مسيرته التعليمية حتى يلتحق بإحدى الجامعات، أو المعاهد المهنية.

التعاون مع الكفلاء:

• كيف يتـــم التواصل مع الكفلاء؟ وهل يتـــم تزويدهم بتقارير ومعلومات عن الأيتام الذين يكفلونهم؟

تهتم الهيئة بالتواصل مع الكفلاء عبر مكاتبنا المحلية، وتزويدهم بتقاريـــر دورية عن أحوال الأيتام الذين يكفلونهم، ويوضح التقرير

أغلـــب المعلومات المتغيرة عـــن اليتيم: صحيًّـــا وتعليميًّا ودينيًّا، ومراحل تطوره في كافة هذه المجالات.

نماذج مشرقة:

• هـــل يمكن أن تحدثونـــا عن نماذج لأيتام رعتهـــم الهيئة وحققوا نجاحات أكاديمية وعلمية وتبوَّؤوا مناصب كبيرة في دولهم؟

لقد حصـــدت الهيئة في هذا البرنامج الطموح الذي قام بجهود أهل الفضل والإحســـان، وبعطاء ودعـــم أصحاب القلوب المؤمنة الرحيمة المتصلة بالخير، التي سعت قُدُمًا لرعاية اليتيم والاهتمام به وتوجيهه إلى الوجهة الصحيحة منذ نعومة أظفاره-غراسًـــا طيبًا، وإنجازات مباركة لطالمـــا حلمنا بتحقيقها وترجمتها على أرض الواقع.

بذرة الأيتام زرعتها الهيئة، وغرست فيهم الثقة في النفس وحب العلم، وزرعت فيهم الفضيلة والقيم الإسلامية النبيلة، وثبَّتت فيهم الثقة في النفس وحـــب العلم والتعلم حتى أينعت ثمارًا طيبة من أيتامنا المتميزين.

أيتامًا كنا بالأمس نحتضنهم ونذرف الدموع لحالهم،ونراهم اليوم وقد أصبحوا -بفضل الله وكرمه- صورًا مشـــرقة،منهم حفظة لكتاب الله، وشـــبابٌ جـــادٌّ مجتهدٌ في مجـــالات عديدة علمية وعملية لها قدرها ومكانتها في المجتمع، وشخصيات أصبح لهم دورٌ في بناء مجتمعاتهم والإسهام في رقيها بكل اقتدار.

وعلى ســـبيل المثال لا الحصر هناك ثلـــة مباركة من أيتام الهيئة الذين أبدعـــوا وأجادوا وتأهلوا ليدخلوا معترك الحياة، مســـلحين بالعلم والخبرة والتدريب المهني، وكان لعطاء الخيِّرين والمحسنين من أهل هذه البلاد الطيبة الأثر الظاهر في إنقاذهم مَن براثن الضياع، والأخذ بأيديهم نحو التألق والنجاح.

ولدينا نماذج مشـــرفة لأيتام كانـــوا مكفولين لـــدى الهيئة في مختلف الدول، وتولوا مناصب عالية في مجتمعاتهم،ومن هؤلاء من أصبح وزيرًا، ومن أصبح عمدة في مدينته.

وهناك أيضًا أطباءُ ومهندســـون وأســـاتذة جامعـــات، وغيرهم كثيرون من المؤهلين أكاديميًّا وعلميًّا في مختلف مناحي قطاعات مجتمعاتهم.

الأمين العام للوقف الإسلامي السويدي:
الرابطة مظلة للشعوب المسلمة في العالم وعملت الكثير من أجل الأقليات

إعداد : توفيق محمد نصر الله

ضيفنا هو د. حسان علي موسى الأمين العام للوقف الإسلامي السويدي للحوار ونائب رئيس مجلس الإفتاء في السويد والمستشار لدى الجهات الرسمية السويدية والدول الإسكندنافية. التقينا به على هامش الندوة الدولية التي عقدتها الرابطة بعنوان (الجاليات الإسلامية في البلدان غير الإسلامية الحقوق والواجبات). تناول الحوار الشأن الإسلامي فيما يتعلق بالمشكلات التي تواجه الجاليات الإسلامية بوجه عام والجهود المبذولة في التصدي لظاهرة «الإسلاموفوبيا»، والأساليب المثلى لتصحيح الصورة الذهنية للمسلمين وكيفية الحفاظ على هوية أبناء هذه الجاليات من خطر الذوبان. وتساءلنا معه عن تطوير وتنظيم أداء المراكز الإسلامية لتؤدي رسالتها على أكمل وجه فإلى نص الحوار:

• بداية كيف ترون جهود رابطة العالم الإسلامي للتصدي لظاهرة "الإسلاموفوبيا" الخوف من الإسلام؟

الرابطة تعتبر من المؤسسات الكبيرة وهي مظلة للشعوب المسلمة وكذلك للأقليات. ونحن جزءٌ من نشاطاتها واهتماماتها. والرابطة من خلال عملها المنهجي وخططها الاستراتيجية؛ عملت الكثير من أجل الأقليات سواءً من خلال إقامة الندوات أو المؤتمرات أو ورش العمل أو طرح ملف الأقليات على المجامع الفقهية لإيجاد حلول للقضايا والنوازل التي تحدث في تلك الديار. بالإضافة إلى دعمها المادي من خلال ابتعاث الدعاة وبناء المراكز وإقامة الدورات ودعم المؤتمرات والمؤسسات التعليمية والثقافية والاجتماعية. كما أن الرابطة؛ ممثلة في معالي أمينها العام كلما حصلت مشكلة للأقليات الموجودة في الدول غير الإسلامية سواءً أكانت في أوروبا أو آسيا أو إفريقيا أو الأمريكتين. يضع دائما طرح موضوع الأقليات في جدول أعماله وتحسس النقاط التي ربما تحتاج إلى تسليط الضوء عليها والتحدث بشأنها مع المسؤولين في تلك البلدان.

وتبنّي الرابطة لموضوع الأقليات واضح وجلي. وهو مشهود

ومشاهد في كثير من الأقطار، والرابطة واجهتها مشكلة كبيرة وهي ظاهرة ما يعرف بـ (الإسلاموفوبيا) وتناميها والعداء للإسلام فحاولت بذل جهود ملموسة، من بينها التواصل مع المؤسسات الرسمية والحكومية في تلك الدول، وإقامة بعض المؤتمرات التي تعرف بالإسلام وقيمه الإنسانية السامية. ولا شك أن إقامة الندوات والمؤتمرات سواءً في مقرها العامر بمكة المكرمة أو بتلك الدول دول الأقليات إضافة لورش العمل، لها أثر في مناقشة المشكلات ولا سيما هذه الظاهرة وكيفية معالجة أبعادها إلى غير ذلك. وحرصت الرابطة على رصد هذه الظاهرة ونقلها إلى المحافل الدولية سواء على مستوى الأمم المتحدة أو على مستوى منظمة التعاون الإسلامي لمخاطبة تلك الدول التي تعيش فيها تلك الأقليات للتصدي لتلك الظاهرة لأن العداء للإسلام وظاهرة (الإسلاموفوبيا) هي الوجه الآخر لليمين المتطرف الذي من خلالها يحاول الإساءة إلى الدين والإساءة للدول الإسلامية، ومن ثم الإساءة إلى المسلمين الموجودين كأقليات في تلك الديار.

• الندوة الدولية التي عقدتها الرابطة بعنوان "الجاليات الإسلامية في البلدان غير الإسلامية الحقوق والواجبات" والتي كنتم أحد المشاركين فيها ما جدواها وما مغزاها برأيكم؟

كون أن يجتمع هذا العدد من القيادات الإسلامية ومن هذه المؤسسات في مكة المكرمة وبحضور معالي الأمين العام من خلال الكلمة التأطيرية التي ألقاها معاليه يعد عملا رائعاً، وخطوة غير مسبوقة، عبرت عن ثلاثة أشياء هي فهمه الدقيق للأقليات، ومآلات الأحداث التي تعيشها الأقليات ونظرته الاستشرافية وذلك بطرحه موضوع المواطنة والوطنية في مفهوم حياة الأقليات مما أعطى زخماً للحوار بالإضافة إلى الشفافية والحرية والحوار البناء الذي ساد تلك الجلسات مما أوجد تلاقحاً في الأفكار، وأوجد توافقاً في الأفكار التي تهم الأقليات وسلط الضوء على بعض المعاناة وطرح بعض الإشكاليات كما طرح بعض الحلول.

• على ذكر كلمة معالي الأمين العام، فقد أشار معاليه إلى أن الإسلاموفوبيا هو الوجه الآخر للتطرف وأننا نتحمل جزءاً من تبعاته بسبب ابتعادنا عن هدي الإسلام وعدم اختيارنا للخطاب المناسب ما رأيكم؟

صحيح نحن نتحمل جزءاً من الاسلاموفوبيا في ثلاث نقاط أولا لأننا في كثير من الأحيان نقدم خطاباً متشدداً يفرق ولا يجمع، خطاباً يركز على القضايا الخلافية أو يوغل في بعض

المسائل الفقهية التي ربما لا يحتاج أن يعرفها الذي يقيم في الغرب إضافة إلى سلوكيات بعض المسلمين في الغرب من خلال التحايل أو الغش أو عدم تقديم وجه حضاري عن الإسلام, أو من خلال بعض الأعمال الإرهابية.
ثانيا هو تلكؤ بعض الجمعيات والمؤسسات والتأخر عن بيان الموقف الشرعي من كثير من المواقف السلبية أو السلوكيات الإرهابية, وهذا يتطلب منا ضرورة تعاون الجهات المختلفة في التصدي للأفكار المتطرفة والإرهابية والحيلولة دون تسللها إلى أبناء الجاليات وأن نقدم خطابا

• الندوة الدولية عن الجاليات الإسلامية في البلدان غير الإسلامية سادها روح الحوار والشفافية وسلطت الضوء على بعض المعاناة وطرح بعض الإشكاليات والحلول

وسطيا يجمع ولا يفرق وأن نبتعد عن التركيز على القضايا الخلافية.

• وكيف ترون زيارات معالي الأمين العام لعدد من الدول الأوروبية والأمريكية والآسيوية في الأشهر الأخيرة؟
أنا أعتقد أن زيارات معالي الأمين العام حققت نتائج إيجابية داعمة للوجود الإسلامي, ولا شك سوف ينبني عليها عمل كبير وأعمال وبرامج تقوم على الشراكات مع الأقليات ومع مؤسسات المجتمع الديني في تلك الديار. وبما يتميز به معاليه من دماثة الخلق والفقه الرصين والنظرة الاستشرافية, أسهم في رسم الطريق للكثير من قضايا الأقليات المسلمة.

• استأثر موضوع الخصوصية الدينية والحفاظ على الهوية بقدر من اهتمام ندوة الأقليات, فكيف ترون سبل الوصول إلى صون الخصوصية لدى هذه الجاليات؟
لا يمكن تحقيق هذه الخصوصية إلا إذا أورثنا أبناءنا الدين الصحيح وقيمه السامية, وإلا إذا أوجدنا فضاءات تربوية وتعليمية لأبنائنا, وكذلك إذا أفهمناهم أن التميز ليس بالشكل وإنما بحسن السلوك وحسن الخلق والثبات على المبادئ, وتقديم أفضل ما لدينا لخدمة تلك المجتمعات التي نعيش فيها من خلال المشاركة الإيجابية سواءً تعليمياً أم ثقافياً أم اجتماعياً أم اقتصادياً أم سياسياً.

• وما الأساليب المثلى لتصحيح الصورة الذهنية للجاليات الإسلامية في البلدان غير الإسلامية؟
أنا أعتقد أن المسلمين مطلوب منهم أولا أن يقدموا الإسلام القائم على قيم التسامح والتعايش والحوار والقبول بالآخر, وأن يقدموا الإسلام الذي يركز على البعد الإنساني والبعد التعارفي (وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا), أن يقدموا صورة الإسلام القائمة على حماية الكون والبيئة والطبيعة في الغرب, وأن يقدموا الإسلام القائم على الإحسان إلى الجار وإلى احترام الخصوصيات وإلى العمل في إطار الآداب والنظام العام, وأن يقدموا ويثبتوا أن الإسلام والمسلم هو عامل إضافة في تنمية المجتمع. ولابد للمسلم أن يشعر غير المسلمين بأنه يشاركهم الأفراح والأتراح, وأنه جار مسالم لا جار غادر أو غشاش أو مخالف للقوانين والتعليمات. كذلك علينا أن نقدم إسلاماً يقوم على القيم التي تجمعنا في فقه المواطنة بحيث نظهر لهؤلاء بأننا جزءٌ فاعل في التنمية الاقتصادية وفي التنمية الاجتماعية وفي التنمية الثقافية وفي المشاركة السياسية, وأننا جزءٌ لا يتجزأ من هذا الوطن ندافع عنه ونذود عنه بالنفس والمال, ونعيش معه في السراء والضراء. وكذلك أن نعمل من خلال عمل مشترك مع مؤسسات المجتمع المدني بالظهور بأننا لسنا طابوراً خامساً ولا نشكل أي خطر على تلك البلدان.

• ما أهم القضايا التي تواجه الجاليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية؟
أولا: فقدان الهوية العربية الإسلامية.
ثانياً: الاستلاب الحضاري والعقدي.
ثالثاً: غياب الفضاءات التي من خلالها يمكن استيعاب الجيل الثاني والثالث خاصة الفضاءات الثقافية والاجتماعية.
رابعاً: قضية غياب الموجهين والمرشدين الدينيين الذين يمكن أن يغطوا هذه المساحات وهذا العدد الكبير من المسلمين, وغياب المؤسسات التعليمية إلا في بعض البلدان هنا وهناك التي تستوعب هؤلاء, كذلك غياب الدعم المالي من الدول التي لديها أقليات في تلك البلدان إلا ما ندر من بعض الدول وتبقى المملكة جهودها رائدة وتذكر فتشكر إلا أن مناشط الأقليات لو لقيت دعم من دول أخرى أيضاً لكان ذلك الأمر فيه فضل وخير كبير.

• كيف يمكن الحفاظ على هوية أبناء الجاليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية من خطر الذوبان؟

نحافظ عليهم أولا بتوريثهم الإسلام الصحيح، وثانياً: بإقامة حوار دائم داخل الأسرة الواحدة قائم على القبول وتعدد الآراء والأفكار. ثالثاً: علينا أن نوجد محاضن تعليمية من الحضانة إلى الثانوية حتى يستطيعوا أن يجمعوا بين العلم والتكنولوجيا والمفاهيم الغربية والهوية الثقافية العربية الإسلامية. كذلك لابد أن نعلم أبناءنا أن هناك ثوابت وأن هناك متغيرات وبذلك نركز على الأركان، ونعلمها لهم ممارسة وسلوكاً من خلال القدوة، وكذلك من خلال البيان والتوضيح.

علينا أن نحرص بأن يكون أبناؤنا عوامل بناء وتنمية في تلك المجتمعات بحيث يكونوا جزءًا من مكونات المجتمع ويكون منهم الشرطي ويكون منهم فهم العسكري ويكون منهم مدير البنك ويكون منهم مدير المدرسة والأستاذ في الجامعة والطبيب والممرض والقاضي إلى غير ذلك.

• هل توجد عوامل اجتماعية ونفسية تدفع بعض الشباب إلى اعتناق الفكر المتطرف برأيك؟

أبناؤنا أو بعض أبنائنا يعيشون في أسرهم بعداً أو غربة عن الإسلام، كما يعيشون خارج المجتمع بعداً وغربة عن الإسلام. ولا يخفى أن تصرفات اليمين المتطرف أو بعض المؤسسات تقوم بإقصاء هؤلاء الشباب أو تهميشهم أو النظر بنظرة دونية لهم خاصة إذا كان اسم الواحد منهم (محمداً) سواءً في المدرسة أو في سوق العمل، إضافة إلى سلوكيات بعض الشباب الغربي تجاه هؤلاء. كذلك ما يشاهدونه في وسائل الإعلام من آلام وجراحات في العالم الإسلامي. ولقضية فلسطين دور في توليد الغبن لدى الكثير من الشباب، فضلاً عن أن مشاهدة أفلام رامبو وتوم كروز تولد عند هؤلاء المراهقين حب الظهور وحب التحدث. ومن خلال العمل الافتراضي الخفي الذي تقوم به هذه المنظمات الإرهابية يقع التواصل مع هؤلاء بعيداً عن المسجد والمؤسسات الإسلامية، ومن ثم تقع عملية غسيل الدماغ والاستيعاب ومن ثم التجنيد وتحويل الواحد منهم إلى قنبلة موقوتة.

• كيف يمكن تقوية حضور المؤسسات الإسلامية وتأثيرها عالمياً؟

المؤسسات الإسلامية يجب عليها أولا أن تنفتح على الأقليات المسلمة والاستفادة من كل الطاقات والإمكانيات البشرية والمادية. ولابد من فتح قنوات التواصل مع مؤسسات المجتمع الغربية، وذلك لبناء جسور التواصل والعمل. كذلك لابد من المشاركة الإيجابية في الفضاءات التي تفتحها تلك الدول لعمل المؤسسات مع الحضور الدائم في كل المناسبات والأفراح والأتراح.

إن على المؤسسات أن تبرز موقفاً واضحاً من بعض الأفعال أو بعض الأعمال المشينة التي تسيئ إلى المجتمع الأوروبي وإلى الإسلام. كذلك لابد من إيجاد علاقات فردية يمكن من خلالها بناء جسور تواصل مع صناع القرار السياسي والإعلامي، إضافة إلى ضرورة الدخول في الميدان الإعلامي من خلال الكتابة أو استكتاب بعض من يكتبون في الكتابة في تلك الصحف لإيصال الصورة الحسنة عن الإسلام. ويجب على المؤسسات الإسلامية أن يكون لها يوم مفتوح شفاف، تفتح فيه المجال لكل مؤسسات المجتمع المدني ولكل القيادات ولكل المثقفين لزيارة تلك المؤسسات والاطلاع على مناشطها وثقافتها.

• نحافظ على هوية أبناء الجاليات المسلمة بتوريثهم الإسلام الصحيح والحوار داخل الأسرة القائم على القبول وتعدد الآراء والأفكار

• ما مدى حاجة الجاليات الإسلامية في البلدان غير الإسلامية إلى فقه الأقليات في الوقت الحاضر؟

أعتقد بأننا كأقليات مسلمة بحاجة إلى هذا الفقه كحاجتنا إلى الضوء وكحاجة المزارع إلى الماء، لأن هناك نوازل ومستجدات تحدث لما يحدثه الناس من أفعال وسلوكيات تقتضي من المجامع الفقهية أن تعمل من خلال اجتهاد جماعي على إيجاد إجابات تؤصل لفقه الأقليات، ويكون مآلها ومقصدها هو تثبيت هذه الأقليات وتثبيت وجودها لتكون جسر تواصل بين الأمة الإسلامية وبين تلك الأقليات في تلك البلدان.

• أخيرا كيف يمكن تنظيم وتطوير أداء المراكز الإسلامية؟

لابد من تطوير أداء المراكز الإسلامية إدارياً من خلال ورش عمل ودورات في الإدارة، ووضع استراتيجيات وخطط خمسية أو عشرية لهذه المراكز ووضع ميزانية معتبرة، تقوم على الاقتصاد والأوقاف وتنمية الموارد والإبداع في طرح المشاريع والمناشط التي تستوعب فئة الشباب خاصة، وتقوم بديلاً في الفضاءات الأخرى التي ربما نحن لم نصل اليها.

جهود رابطة العالم الإسلامي في مواجهة التطرف (٤/٣)

أهمية البيانات الختامية لمؤتمرات وندوات الرابطة

بقلم: د. أحمد عبد القيوم

يحظى البيان الختامي لأي مؤتمر أو ندوة بالاهتمام البالغ والمتابعة من قبل المشاركين في المؤتمر والمتابعين له, كما يلقى هذا البيان صداه الواسع في وسائل الإعلام والتواصل, حيث تتمثّل فيه خلاصة ما قُدّم في المؤتمر من الأبحاث والمقالات العلمية وما دار حولها من المناقشات والمداخلات, وما اشتمل عليه من نتائج وقرارات وتوصيات تفيد صناع القرار في اتخاذ الحلول العملية المناسبة للقضية المتداولة.

من أهمية ذلك جاء اهتمام رابطة العالم الإسلامي في إعداد البيان الختامي لمؤتمراتها وندواتها المختلفة , حيث تشكّل لذلك لجنة علمية تعكف على صياغته وإعداده بلغة علمية محكمة ورصينة تحقيقا للهدف المنشود من إقامة المؤتمر.

كما تحرص الرابطة على نشر البيان الختامي - بعد اعتماده - في مختلف وسائل الإعلام ووسائل التواصل تعميما للفائدة.

ويمكن تلخيص نماذج مما ورد في بعض البيانات الختامية للمؤتمرات المشار إليها سلفا وأمثالها مما له علاقة بالتطرف الفكري- والتي اشتملت على تأكيد موقف الرابطة في محاربة الغلو والتطرف والإرهاب, والتصدي لتياراته المختلفة بحزم وحنكة وثبات, كما اشتملت تلك البيانات على دعوة الرابطة إلى نشر مبادئ الإسلام السمحة, وتعاليمه النبيلة, وتعزيز منهج الوسطية والاعتدال في الأمة وتحصين الشباب المسلم من مزالق الغلو والعنف والتطرف, وتبصيرهم بالمفاهيم السليمة للإسلام, والعمل على ما يحقق الأمن والاستقرار في المجتمعات, ويبعد عنهم الضلال والفساد والانحراف - يمكن تلخيص ذلك في الآتي:

• البيان الصادر عن الدورة السابعة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي, من أبرز ما جاء فيه :

• إنّ من أبرز أسباب الغلو والإرهاب: التأويل واتباع المتشابه في المنهج, والتعصب في الطريقة, واتباع الفتاوى الشاذة, والأقوال الضعيفة والواهية, وأخْذ الفتاوى والتوجيهات ممن لا يوثق بعلمه أو دينه والتعصب لها, مما يؤدي إلى الإخلال بالأمن وشيوع الفوضى, وتوهين أمر السلطان الذي به قوام أمر الناس وصلاح أمور معاشاتهم وحفظ دينهم.

• إنّ الوقاية من التطرف تتطلب المبادرة إلى إزالة الأسباب المؤدية للجريمة, والعمل على إحقاق الحق وإبطال الباطل, وتحقيق التربية الواعية الهادفة من أهل العلم والصلاح والخبرة, ووضْع منهاج عملي واضح سهل ميسر لتحقيق ذلك, وأن الوقاية من التطرف تتطلب تحرير المصطلحات الشرعية وضبْطها بضوابط واضحة كمصطلح الجهاد, ودار الحرب, وولي الأمر, والعهود.

• البيان الصادر عن الدورة التاسعة عشرة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد بعنوان (نداء مكة المكرمة لمواجهة الفكر المنحرف), ومن أبرز ما جاء فيه:

• إنّ من أبرز أسباب ظهور الفئات المغالية في الدين: جهلهم بحقيقة الدين وسماحته وعدله, وقصور فهمهم لبعض النصوص الشرعية ومقاصدها كنصوص الجهاد والولاء والبراء, وأخْذهم ببعض الفتاوى الشاذة المضللة.

• ضرورة إسهام المساجد في معالجة الانحراف الفكري, وذلك بمعالجة الجهل بالدين وتبصير المسلمين بحقيقته وجوهره, كما في الكتاب والسنة, وذلك لا يدرَك إلا بالعلم الشرعي الصحيح, «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»(يوسف: ١٠٨).

• دعوة الأئمة والخطباء والدعاة إلى ضرورة ضبْط المصطلحات بضوابط الشرع التي سار عليها سلف الأمة الصالح.

• إنّ الواجب على الأئمة والخطباء تعريف الناس بضوابط المناصحة الشرعية للناس ولولاة أمرهم.

• أهمية قيام العلماء بواجبهم في التشاور, وبيان الحكم الشرعي في كل ما يهمّ المسلمين, وإعطاء الرأي الصحيح فيها ونشْره بين الناس, حتى يضيق مجال الآراء الفردية المتعارضة التي تسهم في الفوضى والقلق بين المسلمين.

• البيان الختامي للمؤتمر العالمي عن (رابطة العالم الإسلامي ... الواقع واستشراف المستقبل). وكان من أبرز توصياته :

• التنسيق مع وزارات التربية والتعليم في الدول الإسلامية للتركيز في مناهجها الدينية على الوسطية الإسلامية.

• عقْد اتفاقات مع المنظمات الدولية للتعاون في مكافحة

التطرف والغلو وإشاعة ثقافة الوسطية والسلام والتعايش بين الشعوب بالإنسانية.

• عقد ندوات علمية متخصصة لضبط المصطلحات الشرعية المهمة, وتحديد مفاهيمها بما يحصّن شباب المسلمين من آفتي الإفراط والتفريط.

• التعاون مع وسائل الإعلام الإسلامية والعالمية لإبراز الصورة الحقيقية للإسلام, وأنه رسالة محبة وحوار وسماحة.

• مواجهة التحديات التي يُحدِثها سوء الفهم للإسلام.

• البيان الختامي للمؤتمر العالمي(العالم الإسلامي ... المشكلات والحلول), وجاء فيه التأكيد على التالي:

• مواجهة الغلو الفكري والانحراف العقدي بالحوار البنّاء الذي يرسّخ خيرية الأمة ويذكّر بوسطيتها.

• أهمية تعاون الرابطة مع العلماء من أهل الرأي في وضْع برنامج عمل إسلامي يحفظ للأمة أمنها ووحدتها , ويحرُس شبابها من منزلقات الإفراط والتفريط.

• أهمية تبوّء العلماء مكانتهم الرفيعة في الأمة , والقيام بواجبهم في التصدي للأزمات الراهنة بتبيان الموقف الشرعي في المستجدات, وتقديم النصح والتوجيه والتحذير بما يخالف الشريعة.

أما أبرز توصياته فجاءت كالتالي:

• تكثيف البرامج الدعوية والتثقيفية الخاصة بتوعية المجتمعات الإسلامية - لا سيما الشباب - بمقاصد الشريعة الإسلامية, وأهمية تطبيقها في مختلف مجالات الحياة.

• تعريف الأجيال الشابة بالإسلام وحقائقه, وتوفير الوسائل المعينة على فهم مقاصده

• التعامل مع المصطلحات والشعارات المتداولة مثل(الديمقراطية, الحرية, السلطة, المواطنة) وفق الضوابط الشرعية, حذَرا من منزلقات الغموض والإبهام والعموم.

• ميثاق التضامن الإسلامي الصادر عن المؤتمر العالمي (التضامن الإسلامي) وجاء فيه :

• أنّ من وسائل تحقيق التضامن الإسلامي: تبنّي نهج ينبُذ العنف ويطرح التطرف ويدعو إلى الاعتدال, فإن الغلو عقبة أمام التحام الأمة وتضامنها ووحدتها ونهضتها.

• أن على الغيورين والمهتمين بشأن الأمة العام أن يسعوا جاهدين إلى تجفيف بؤر التطرف باعتباره خطرا يهدد الأمة.

• إن شبهات الغلاة لا تزال تعمَل عملها في شباب المسلمين حيث حوّلتهم من بُناة إلى طغاة, فشوّهوا معالم الدين, وحرّفوا النصوص, وأشاعوا البغضاء.

• إنّ نشر العلم الشرعي يبدّد ظلمات الجهل, ويفنّد شُبُهات التطرف , ويهذّب السلوك, ويدعو إلى الاعتدال.

• أن من وسائل نشر الوسطية: بث البرامج الإعلامية المُظهرة لآثار التطرف والثمار المُرّة التي مُني بها مَن سلَك هذا المسلك المُهلك.

• ضرورة الحوار الهادف مع أصحاب الأفكار المتطرفة, ومناصحتهم بالحسنى وكشْف شُبهاتهم ليعودوا إلى الصراط المستقيم.

• البيان الختامي للمؤتمر العالمي في مَشعر منى بعنوان (الإسلام رسالة سلام واعتدال). فقد جاء فيه التأكيد على:

• أهمية تعزيز أسباب التلاقي والتآخي الإسلامي, وترجمة الرسالة العالمية والسلمية للإسلام في بعدها الوسطي واعتدالها المنهجي على سلوك الجميع أفرادا ومؤسسات.

• أن رسالة الإسلام رسالة عالمية, تدعو للسِّلم والتعايش والتعاون الإنساني مع الجميع, وأنها تحمل في طياتها معاني التسامح والوسطية والاعتدال.

• أن يكون لدى العلماء والدعاة والمفكرين من الرحابة والسعة ما يَجعلهم أكثر تقبّلا لما يصدر عن غيرهم من ثراء الحوار والنقاش في إطاره المحمود.

• أن يكون الدعاة على يقظة من إلهاب المشاعر المتسرعة, وأن معالجة القضايا والأحداث تكون بالعلم والحكمة, مع مراعاة فقه الأولويات والموازنات والنظر في المآلات.

• أهمية التصدي الفكري للإرهاب مع التنويه بجهود المملكة العربية السعودية في ذلك من خلال العزم على إنشاء مركز عالمي لمحاربة الفكر الإرهابي, وإنشاء التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب فكريا وإعلاميا.

• التنديد بالتشريع الذي أصدره الكونغرس الأمريكي باسم (قانون العدالة ضد رعاة الإرهاب), وأنه مخالف للمواثيق الدولية, ويهدد استقرار النظام الدولي, وأن التطرف المحاصر فكريا سيجد فيه ذريعة جديدة للتغرير بأهدافه.

أما أبرز توصياته فكانت فيما يلي :

• التحذير من أي تكتل يُخرج المسلمين عن رايتهم الجامعة ليفرق كلمتهم, ويَخترق صفّهم ,وينافي رسالتهم في سِلمها واعتدالها, وأن التصنيف هي شرارة التطرف في خطاب التكفيريين.

• التحذير من مخالفة المنهج الحق في آداب الدعوة والحوار والنصح, والتنبيه على خطورة المقالات والعبارات المرجَلة التي تصِم أبناءَ المسلمين بكلمة السوء كالتبديع والتضليل والتكفير, مع ضرورة الأخذ على أيدي أصحاب المقالات المرجَلة سدّا لباب التطرف.

• التحذير من خطورة خطاب الكراهية والتحريض, وأن الإسلام إنما انتشر بالعدل والإحسان, والكلمة الطيبة, والقدوة الحسنة, وتحرير العقول , وتأليف القلوب .

• البيان الختامي للمؤتمر الدولي في نواكشوط بموريتانيا, بعنوان (علماء السنة ودورهم في مكافحة التطرف), ومن أبرز ما جاء فيه:

• أن المسؤولية تزداد على العلماء في تبصير الأمة وتوعيتهم

بحقيقة الإسلام وسماحته، ونبذه لكل أنواع التطرف والغلو، وأنه آن للعلماء والدعاة من أهل السنة والجماعة أن يتصدوا بحزم وثبات لمحاولات الانحراف بالإسلام عن نهج الوسطية والاعتدال، وقيم المحبة والتسامح والإخاء، وأن يحذروا الأمة من هذا البلاء الخطير، ويضعوا الحلول الناجعة في تحصين الشباب لمواجهة هذا الداء العضال، مع إبراز الصورة الناصعة المشرقة للإسلام في اعتداله وشموليته ووسطيته.

• أن تطبيق منهج أهل السنة والجماعة والالتزام به في جميع مناحي الحياة سبيل إلى استقامة أمور الأمة وصلاحها، وسلامتها من التطرف والغلو والاختلاف.

• أن الانحراف الفكري في المفاهيم الشرعية كالجهاد، والتكفير، والحاكمية، والولاء والبراء، ينبغي الرجوع فيها إلى العلماء الراسخين الربّانيين المؤهّلين.

• أن الإرهاب صنيع الفكر المتطرف لجُهّال أخذوا الفتيا الشرعية من غير أهلها، وحرّفوا النصوص الشرعية لتهييج مشاعر الشباب والعامة واستدرار عواطفهم الدينية

• التحذير من التأويل الخاطئ والتفسير العقلاني للنصوص الشرعية، ولَيّ أعناق النصوص إلى أحكامٍ أبعدَ ما تكون عن مقاصدها الحقيقية.

• دعوة العلماء والمثقفين والإعلاميين إلى تقديم رؤى وبرامج ناضجة مدعّمة بالنصوص الشرعية والشواهد التاريخية، يبرَز من خلالها منهج السلف الصالح في أحكام الجهاد والولاء والبراء والجماعة وطاعة ولي الأمر.

• تصحيح المفاهيم المغلوطة والخاطئة عن الإسلام، من خلال بيان محاسنه، وأنه دين يدعو إلى الوسطية سلوكا ومنهجا، ويحذّر من الغلو والتطرف والجفاء.

• تحرّي الدقة والموضوعية في تناول الأحداث التاريخية، والتصدي الجادّ لمحاولات تشويه التاريخ الإسلامي، والابتعاد عن كل ما يثير الفتن.

• توعية الشباب ونُصحهم بتعظيم الثوابت الشرعية، والأصول الكلية، والالتزام بآداب الاختلاف والحوار، وعدم التساهل أو التسرع في التكفير والتبديع والتفسيق.

• دعوة الحكومات الإسلامية إلى العناية بتأهيل العلماء النابهين لمعالجة الواقع وما يجدّ فيه على نور من الكتاب والسنة ووفق منهج السلف، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أوّلها.

• ترشيد مناهج التربية والتعليم بما يتوافق مع عقيدة الأمة وشريعتها ،وتعزيز قدرات المؤسسات التعليمية للوقاية من الفكر المتطرف.

• التعاون مع الجامعات الإسلامية ومراكز الأبحاث لإيضاح المفاهيم الملتبسة على الشباب، وتوفير مادة علمية رصينة تكون بين أيدي الخطباء والدعاة والمربّين.

• البيان الختامي للمؤتمر الدولي في ستراسبورغ بفرنسا، بعنوان(الشباب المسلم في مواجهة الإرهاب) ، ومن أبرز ما جاء فيه: • أنّ الإرهاب وليد الفهم الخاطئ لتعاليم الدين، وأنّ ارتكاب بعض المنتسبين للإسلام للممارسات الإرهابية، لا يبرّر إلصاقه بالمسلمين وترويج الصورة النمطية التي تشوه صورتهم.

• التعرف على الإسلام يكون من خلال أصوله الصحيحة وعلمائه المعتبرين، بعيدا عن الدعايات المغرضة التي يغذّيها التطرف الفكري.

• أن تقوم المؤسسات التعليمية وبخاصة الجامعات بمسؤولياتها في ترشيد المناهج التعليمية، وتتحلى بالموضوعية في عرض الإسلام وتعاليمه وفق فهم سلف الأمة.

• تشجيع مؤسسات المجتمع المدني على ترسيخ منهج الوسطية والاعتدال في الشباب واستيعابهم، لتتكامل جهودها مع جهود المؤسسات الرسمية وجهود العلماء الربانيين.

• تحذير الشباب المسلم من الاغترار بدعاوي الفكر المتطرف، وتطاول أنصاف المتعلمين على الفتوى بغير علم.

• العناية بمكانة العلماء ودورهم المرجعي في توجيه الأمة، وتشجيع الفتاوى الجماعية في النوازل والشأن العام للأمة، ووضْع الضوابط الشرعية التي تنظّم الفتاوى، وتراعي متغيرات الواقع ،وتحُدّ من تأثير الفتاوى الشاذة.

• وضع خطة استراتيجية لتحقيق الأمن الفكري، ووضع برامج شاملة تستوعب شبهات الجماعات المتطرفة أو تعالج الأسباب المفضية إلى هذا الانحراف.

• البيان الختامي للمؤتمر الدولي في الخرطوم بالسودان بعنوان (الإرهاب والتطرف الطائفي في إفريقيا)، وكان من أبرز توصياته ما يلي:

• عقد ندوات مكثفة في مختلف دول إفريقيا، تتعاون فيها الهيئات الإسلامية مع رابطة العالم الإسلامي لتحصين عقائد المسلمين وأفكارهم.

• تشجيع البحوث والدراسات المتعلقة بالثقافة الإسلامية لصد التيارات الفكرية والعقدية المتطرفة.

• ربط الشباب المسلم في إفريقيا بالعلماء الراسخين في العلم لتبصيرهم بالفقه الصحيح للمفاهيم الشرعية كالجهاد والولاء والبراء.

• دعم الأقليات المسلمة من الناحية التعليمية والتربوية لتنجو من مزالق التطرف والعنف والصدام مع مختلف مكونات المجتمع، وتنخرط في تنمية أوطانها بما يضمن التعايش للجميع، وتصحيح صورة ديننا الحنيف وصورة أتباعه.

• البيان الختامي للمؤتمر الدولي في أبوجا بنيجيريا بعنوان: (الأمن والاستقرار في ظل التحديات المعاصرة)، ومن أبرز ما جاء فيه:

• أنّ ظاهرة الغلو والتطرف عالمية وقديمة، ولا تنحصر في

المسلمين ولا تعبر عن حقائق دينهم, فقد حذر منه النبي أمته في قوله: «إياكم والغلو في الدين, فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».

• أنّ الأمة المسلمة وسطية بين الإفراط والتفريط وتتبنّى منهجا شرعيا أصيلا, يعزز التكامل بين الفرد والجماعة, ويرفض المواقف والسلوكيات الشاذة.

• التحذير من الربط بين الإسلام والممارسات الشاذة للجماعات المتطرفة التي خالفت إجماع الأمة وأضرت بمصالح المسلمين حول العالم, وكانت من أسباب تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

• بيان حقائق الإسلام , وتصحيح اللَّبس في مفاهيمه وأحكامه وبيان فهمه الوسطي, ونشر العلم الصحيح المنبثق من أصول الإسلام.

• التصدي لتيارات الغلو والتطرف وبيان جنايتها على الإسلام والمسلمين وتحصين الشباب من خطرها بنشر ثقافة الاعتدال.

• تطوير الخطاب الديني, بما يراعي فوارق الزمان والمكان ويتلاءم مع ثوابت الإسلام , ويعالج مشكلات المجتمع المعاصرة, بعيدا عن الانفعال الذي يعبّر عن ردة فعلٍ آنية تَغفل عن الآثار البعيدة.

• إقامة مؤتمرات ومناشط حوارية لمناقشة التطرف وأسبابه والحلول التي تصون الشباب المسلم عن تيارات الغلو والجفاء, ووضع مُخرجاتها بين يدي المعنيين للإفادة منها في علاج هذه المشكلة.

• دعوة المجمع الفقهي الإسلامي إلى إصدار موسوعة علمية شاملة لتصحيح المفاهيم الخاطئة في بعض الأحكام الشرعية, وتعريف المصطلحات المهمة وترجمتها إلى اللغات المختلفة.

ومن أجل إعطاء صورة عن مضامين هذه المؤتمرات والندوات أعرض لنموذجين منها؛ هما: مؤتمر (الإسلام ومحاربة الإرهاب), ومؤتمر (الإسلام رسالة سلام واعتدال).

أولا :المؤتمر الدولي حول (الإسلام ومحاربة الإرهاب)

متابعة من رابطة العالم الإسلامي لجهودها في محاربة الفكر المتطرف من خلال البيانات والتصريحات والمؤتمرات والندوات الدولية والإقليمية التي حذرت فيها من خطورة هذه الظاهرة وتناميها, وما دعت إليه من نشر العلم الشرعي الصحيح المستمد من نصوص القرآن والسنة , وفق منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وتعزيز نهج الوسطية والاعتدال, ومناشدتها علماء الأمة أن يقوموا بواجبهم نحو بيان الحق للناس, وإظهار خطورة الفكر المتطرف على المجتمعات الإسلامية, والعناية بتحصين الشباب المسلم ضد مزالق الغلو والتطرف, ونشر الوعي الإسلامي الصحيح الذي يبصر العقول بالمفاهيم السليمة للإسلام, ويرشد السلوك نحو فعل الخير واجتناب الشر, ويعزز في النفس حرمة الدماء والأعراض, ويحمي من الانزلاق في مهاوي الانحراف والضلال والإجرام, ودفعا لما يوجّه للإسلام والمسلمين من تُهم وأنهم منبع التطرف والإرهاب, وإسهاما في بيان حقيقة الإسلام وجهود المسلمين في مكافحة التطرف الفكري والإرهاب.

متابعة لذلك, وما نتَج عن التطرف من تجاوزات وصلَت حدّ الجرائم والقتل والتفجير والتكفير والإفساد في الأرض, وانطلاقا من رسالة الرابطة السامية تجاه الأمّة ودينها, وإدراكًا منها لمسؤوليتها وواجباتها تجاه الشعوب والأقليات المسلمة, عقدَت الرابطة في رحاب مكة المكرمة عام ١٤٣٦هـ , وبرعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله ورعاه - مؤتمرا عالميا بعنوان (الإسلام ومحاربة الإرهاب), شارك فيه أكثر من أربعمائة شخصية من العلماء والدعاة والمفكرين من مختلف دول العالم.

حيث تناول الباحثون والمشاركون في المؤتمر مناقشة هذه الظاهرة وأسبابها التي باتت تهدّد أمتنا الإسلامية والعالم أجمع, وبيّنوا تحذير الإسلام من العنف والتطرف والغلو في الدين, وتحزيب الأمة, والخروج على ولاة أمرها, وأنّ الوسطية والاعتدال والسماحة هي سمات الإسلام ومنهاجه القويم, وأن من حادَ عن هذا المنهاج لا يمكن أن يَخدُم الأمة, ولا يجلب لها إلا الشقاء والفرقة والبغضاء.

وقد أسهم المؤتمر في الوصول إلى الحلول الناجعة لتحصين شباب الأمة من آثار الإرهاب المدمرة, وتخليصهم من براثنه, بكشف عواره, وزيف دعواه, وتقديم التصور الإسلامي الصحيح للعلاج. والتصدي لهذه الظاهرة المخيفة من خلال تكوين منظومة إسلامية جماعية, ووضْع خطة استراتيجية يلتزم بها الجميع في سبيل مكافحة هذا الداء الوبال, الذي هو صنيعة الفكر المتطرف لجماعة من الجُهال والعملاء الذين حاولوا تشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم, والتأكيد على إنّ الإسلام ضدّ الإرهاب, وأننا ننطلق في مواجهة الإرهاب من ديننا الحنيف.

وبإلقاء الضوء على فعاليات هذا المؤتمر والمناشط المصاحبة له, يمكن القول بأنّ هذا المؤتمر عالج موضوع التطرف الفكري من خلال الآتي:

• ورش العمل المصاحبة للمؤتمر:

لقد صاحب انعقاد جلسات المؤتمر انعقاد ورش عمل على هامشها, وكانت موضوعات هذه الورش مكمّلة لمحاور وموضوعات المؤتمر ومحققة لأهدافه , مشتملة على موضوعات تطبيقية وبرامج عملية في محاربة الفكر المتطرف الذي أدى إلى تغذية الإرهاب بالفكر والمال والأفراد, وكيفية علاج ذلك من

خلال ثلاث ورش عمل هي:
• ورشة تطبيق الشريعة والحكم الإسلامي الرشيد.
• ورشة مفهوم الجهاد في الشريعة الإسلامية.
• ورشة الدولة في الرؤية الإسلامية المعاصرة.
ويمكن الاطلاع والاستماع لهذه الورش وما صاحبها من مناقشات ومداخلات ضمن حلقات مسجلة منشورة على موقع الرابطة .

• البحوث المقدمة للمؤتمر :

استقبل المؤتمر عددا من البحوث التي تطرقت لموضوع الفكر المتطرف وأسبابه, وطرق معالجته, ومن تلك البحوث:
• فتنة التكفير والفكر الخارجي, للدكتور راغب الحنفي السرجاني.
• استخدام الدين مظلة للإرهاب, للدكتور فخر الدين الزبير علي.
• الخطأ في ضبط المفاهيم الملتبسة: الجهاد والقتال, للدكتور عصام أحمد البشير.
• الجهل بمقاصد الشريعة وأحكامها, للدكتور هارون الرشيد محمد أيوب.
• الجهل بالدين والغلو, للدكتور نور الدين مختار الخادمي.
• الخطأ في ضبط مفاهيم شرعية هامة, للدكتور عبد السلام داود العبادي.
• تحصين الأسرة للأولاد من مزالق التطرف والعنف, للدكتور إسماعيل لطفي.
•ضعف المناهج التعليمية في تقديم ثقافة متزنة, للدكتور الريح حمد النيل.
• في التطرف العلماني والليبرالي, للأستاذ محمد نمر السماك.
• التطرف الغربي ودوره في التطرفات الأخرى, للدكتور طيبي غماري.
وقد تم طبع هذه البحوث ضمن بحوث المؤتمر المنشورة في ثلاث مجلدات, ويمكن الاستفادة منها ورقيا وإلكترونيا.

• البيان الختامي للمؤتمر:

وقد تضمن هذا البيان عددا من التأكيدات على أمور تتعلق بالفكر المتطرف وأسبابه وآثاره, ومن ذلك ما يلي:
• أنّ من أسباب الإرهاب الدينية: الانحراف الفكري في المفاهيم الشرعية ومتعلقاتها, كالجهاد, والتكفير, والحاكمية , والولاء, والبراء, ودار الإسلام, ودار الحرب, وأنّ ما يتعلق بذلك من أحكام ينبغي الرجوع فيها إلى العلماء الربانيين المؤهلين.
• أنّ من أسباب الإرهاب الدينية: تجاسر الجهلة والمغرضين على الطعن في العلماء المعتبرين, واتخاذ أنصاف المتعلمين مراجع في فقه الدين ورؤوسا في الفتوى, فأفتوا باستباحة الدماء والأموال المعصومة والخروج على الحكام, وذلك بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير, فضلّوا وأضلوا.
• أنّ من أسباب الإرهاب الثقافية: اغترار كثير من الشباب بدعاوى الفكر المتطرف, لقلة علمهم وضحالة فكرهم, وضعف فقه التديّن عندهم ,وجهلهم بخفايا الأحداث المحيطة بهم.
• أنّ من آثار الإرهاب: إضعاف المرجعية الإسلامية للمجامع والهيئات الفقهية والعلماء المؤهّلين, وإطلاق العنان للتكفير والتفسيق والتبديع بغير علم, وترويج الإشاعات التي تَطعن في العلماء بالدعاوى الكاذبة, وتُغري بالتطاول عليهم , والتحوّل عنهم إلى أدعياء العلم وأنصاف العلماء الذين يُفتون بغير علم ولا روية, فيَضلّون ويُضلّون.
• أن من آثار الإرهاب أيضا: الإقدام على قتل المسلمين والمعاهدين والآمنين بكل بشاعة, وبلا ذنب ولا جريرة, والاجتراء على محارم الله, بناء على تأويلات باطلة وتمحّلات خاطئة.
وخرج المؤتمر بتوصيات تتعلق بمواجهة الفكر المتطرف, منها ما يلي:
• دعم المؤسسات الدعوية, وإفساح المجال لها للقيام بواجبها في توعية الشباب, ونشر الوسطية.
• نشر العلم الشرعي الصحيح المستمد من نصوص القرآن والسنة وفق منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين, وتعزيز منهج الوسطية والاعتدال.
• الحرص على توفّر القدوة الصالحة من العلماء الربانيين, والحفاظ على مكانة العلم وأهله للقيام بالنصح وبيان أحكام الدين.
• بذل الجهد في تحقيق الأمن الفكري للأمة, لحماية شبابها من الوقوع في شراك الشبهات, ووضع الخطط الكفيلة بذلك.
• الانفتاح على الشباب بالحوار, والتباحث معهم في مشكلات الحياة المعاصرة, وصولاً إلى التفكير السليم, وتصويب المفاهيم الخاطئة بالعلم الصحيح, وردّ الشبهات المضللة والأهواء المهلكة.
• دعم مؤسسات الإفتاء بالعلماء والمفتين الذين تتوفر فيهم الأهلية العلمية والشرعية.
• التصدي للنوازل بفقه واعٍ, يزاوج بين نصوص الشريعة ومتغيرات الواقع, وتقوية المؤسسات الفقهية والعلماء الربانيين, وتنشيط الفتاوى الجماعية في الشأن العام, للحد من شذوذ الفتاوى الفردية.
• توعية الشباب بحقيقة الجهاد وأحكامه وضوابطه وغاياته الشرعية, وعلى المؤسسات الدينية تصحيح المفاهيم الخاطئة حوله وحول المصطلحات الإسلامية الأخرى.
• تعظيم الثوابت, والالتزام بآداب الحوار والاختلاف, وعدم التساهل والتسرع في التكفير والتبديع والتفسيق.
• ترشيد مناهج التربية والتعليم بما يتوافق مع عقيدة الأمة

وثوابتها، وعلاج ضعف المؤسسات التعليمية، وتعزيز قدرتها على الوقاية من الفكر المضلل، ودرء الانحراف السلوكي والفكري، وتحويل المعرفة إلى سلوك مؤثر في شخصية النشء.

• تكثيف البرامج الإعلامية التي تؤكد وسطية الإسلام، وتعزّز ثقافة التسامح والحوار الذي يعزز الأواصر، ويقي من موارد النزاع والفتنة.

• تعزيز الوعي الأسري، وتنمية روح المسؤولية بين الوالدين والأبناء لحماية الأجيال من الانحراف والتطرف.

• عقد لقاءات تنسيقية مع الجهات المتخصصة في الأمة الإسلامية لوضع خطط عملية تتصدى للفكر المنحرف.

• التعاون مع الجامعات ومراكز الأبحاث من أجل ضبط المفاهيم الملتبسة، وتوفير مادة علمية رصينة تكون بين أيدي الخطباء والدعاة والمعنيين بالشباب.

وقد تزامن مع صدور هذا البيان الختامي للمؤتمر، صدور بلاغ في نهاية جلسات المؤتمر سمي بـ (بلاغ مكة المكرمة)، حيث وجّه العلماء المشاركون خمس رسائل إلى قادة الأمة المسلمة وعلمائها وإعلامها وشبابها، ثم إلى العالم حكومات وشعوبا. أداء لواجب النصح , وإقامة للحجة، وإعذارا إلى الله.

وهذه الرسائل الخمسة تتضمن نداءات وتوصيات تعالج الإرهاب وأسبابه، وتُعنى الرسائل الموجهة إلى علماء الأمة وإلى شبابها خاصة بمعالجة الفكر المتطرف، وكان من بين ما ركزت عليه تلك الرسائل ما يلي:

• دعوة العلماء إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة، ووقاية الأمة من الشبهات المضللة، والدعوات المغرضة، بنشر العلم الصحيح المنبثق من أصول الإسلام ،وفق هدي سلف الأمة وأئمة الإسلام , بعيداً عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

• دعوة العلماء إلى تعزيز التنسيق بين المؤسسات الشرعية في الفتوى، والتصدي للنوازل العامة بالفتاوى الجماعية، والتحذير من الفتاوى الشاذة.

• دعوة العلماء إلى تقوية التواصل مع الشباب، وتضييق الفجوة معهم، وتوسيع آفاق الحوار معهم، وإجابة استفسارهم، والسعي في تعزيز نهج الوسطية بينهم.

• دعوة الشباب إلى الاعتصام بالكتاب والسنة وهدي سلف الأمة، واجتناب الفتن ، والنأي عن الإفراط والتفريط، وتعظيم الحرمات، وصون الدماء ، ورعاية مصالح الأمة الكبرى.

• دعوة الشباب إلى الثقة بالعلماء الربانيين الراسخين والرجوع إليهم، والاعتصام بما يبصّرون به من أحكام الدين، والحذر من الأدعياء وتجاسرهم على الفتيا في قضايا الأمة العليا.

• دعوة الشباب إلى التفقه في الدين، وترسيخ الإيمان ، والالتزام بالشرع، والنظر في تحقيق المقاصد، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وعدم الاغترار بالشعارات البراقة التي ترفعها بعض الجهات بغير سند من كتاب ولا سنة.

• دعوة الشباب إلى ترشيد العاطفة والحماس، بالنظر في المآلات وتقديم الأولويات، وفقه الواقع ،والتحلي بالصبر والأناة في الإصلاح , والتدرج في بلوغ الأهداف، ومراعاة سنن الله في التغيير، وسلوك الطرق المشروعة في ذلك.

ثانيا: المؤتمر العالمي
(الإسلامُ رسالةُ سلام واعتدال)

متابعة لمجريات الأحداث التي يمر بها العالم الإسلامي فكريا وسياسيا وعسكريا، عقدت الرابطة مؤتمرا دوليا في (مشعر منى) بمكة المكرمة، في موسم حج عام ١٤٣٧هـ، بعنوان (الإسلام رسالة اعتدال وسلام)، شارك فيه نخبة من الباحثين والمفكرين من مختلف دول العالم ممن قدموا لأداء مناسك الحج، وقد تباحث المشاركون والحضور ما يعصف بالأمة من نوازع تفرق وانقسام فكري وتحدٍّ إرهابي عسكري، وأكدوا على ما يلي:

• أنَّ رسالة الإسلام رسالةٌ عالمية، تدعو للسلم والتعايُش والتعاون الإنساني، وأنها تحملُ في طياتها معانيَ التسامح والوسطية والاعتدال، مع استصحاب المعاني العظيمة في تكريم الخالق سبحانه لبني آدم ورحمتِهِ بهم، فيما حثت الشريعة الإسلامية في أهدافها الإنسانية على الإحسان لكل كَبِدٍ رَطْبَةٍ من إنسانٍ أو حيوان.

• أن مفاهيم الإسلام حذَّرت من أيِّ شعار، أو اسم، أو وصف غير الإسلام، وأننا عندما نَخْتَصِرُ سنةَ الإسلام وجماعةَ المسلمين في أوصافٍ لأشخاص أو انتماءاتٍ أو مدارسَ معينة، فإننا نختزل الإسلامَ الجامع، الإسلامَ الحاضن، إسلامَ السعة والامتداد والتاريخ، في مفاهيمَ محدودة، وأفكارٍ ضيقة، تفتح على الدين ثغرةً، تتسللُ منها المصالحُ والأهواءُ.

• وجوب الحَذر من أيّ تكتُّل يَخْرج بالمسلمين عن رايتهم الجامعة ليُفَرِّق كلمتهم ويَخْتَرقَ صفهم، وينافي رسالتهم في سِلْمها واعتدالها، مُشيرين إلى أنَّ تاريخَ الإسلام لم يُسجِّل أي تجمع لإقصاء أيٍّ منهم عن سُنَّتهم وجماعتهم، وأن الانجرارَ لمثل هذه المزالق يمثل سوابق وخيمة على الإسلام وأهله، وأن لتصنيفه المُحدَث لوازمَ خطيرةً هي شرارة التطرف في خطاب التكفيريين، وأن «حِكمةَ الإسلام» ورسوخَ علمائه ووعيَ دعاته ومفكريه فوق هذا، وعلى حذرٍ من تبعاته.

• أن أي خطاب يخرج عن أصول الأدب العلمي أو يَحْمِلُ مضامينَ إقصائيةً، إنما يُمثل من صدر عنه، وأن الخطاب المضاد متى استعار صيغة التطرف وإقصاءه فإنه في عداده وحُكْمه، منبهين في ذات الوقت على أهمية أن يكون لدى العلماء والدعاة والمفكرين من الرحابة والسعة ما يجعلهم أكثرَ تقبلاً وانتفاعاً لما يصدر عن غيرهم من ثراء الحوار والنقاش في إطاره المحمود.

• أنَّ بعض الكتابات التاريخية ربما سجلتها أقلام لا رسوخ لها في علوم الشريعة ولا أدبها، فتصوغُ مدوناتِها بأخطاء وتقولات

ومصطلحات تخالف الشريعة والحقيقة، ولا يتحملها سوى مَنْ دونها، وأن التعويل في الحكم على أهل الإسلام في أفراد علمائهم أو دعاتهم أو مفكريهم أو مؤسسات مدارسهم إنما يكون على مقالاتِ أصاحبها من مصادرها، وأنه عند التشابه والاستشكال في مضامينها فإنها تُرَدُّ لمن صدرت عنهم أو ورثة علمهم، كما هو هَدْي الإسلام في التثبُّت والتَّبَيُّن وردِّ الأمر إلى أهله، مع الأخذ في الاعتبار أن من أصحاب الطرح المحسوب على علوم الشريعة من لا يُمَثِّل إلا نفسه، ولا عصمةَ لأحدٍ غيرَ أنبياء الله ورُسُلِه فيما يبلغونه عن ربهم جل وعلا.

• أن الأسماء المتداولة لبعض المدارس العلمية إنما هي مناهج وصفية فحسب، وليست بديلاً عن اسم الإسلام ومظلته الجامعة، وأن التوسع في تلك الأسماء من قِبَل أهلها أو غيرهم يُرَسِّخُ المفهوم الخاطئ حولها، فضلاً عن مُزاحمتها لاسم الإسلام الذي سمانا الله به، مشيرين إلى أن الجدليات المُتكلَّفةَ في الدين أفرزت الأسماءَ والأوصافَ والشعاراتِ المحدثةَ باسم الشريعة.

• أن أفراد الأمة لا حاجة لهم بالتوسعات المتكلفة في شؤون الدين التي لا يُحيط بجدلياتها إلا من تعمق في سجالاتها، وأهلُ الإسلام على دينهم الحق دون أن يكونوا مكلفين بمعرفة تلكم الاستطرادات والأسماء المحدثة، فضلاً عما فيها من تعكير صفو الدين في نفوسهم والتأثير على نقاء فطرتهم وتآلفهم فيما بينهم.

• وجوب الحذر من مُخالفة المنهج الحقِ في أدب الدعوة والحوار والنصح، مُنبهين على خُطورة مُرْتَجَل المقالات والبيانات والعبارات التي تَصِمُ أبناءَ الإسلام في سَدَادِ مذاهبهم ومناهجهم بكلمة السوء بما لا طائل من ورائه سوى التحريش بين المسلمين والتنابز بينهم بالتبديع والتضليل والتكفير، وأن المُتعين هو الأخذ على أيدي أصحابها بوصفهم وَقودَ الفتنة والفُرقة ومحرضي السفهاء والجهلة على سلوك جادة التطرف بذلكم التعدي والارتجال، وأن الحريات التي أقرتها الشريعة لها نظام يحمي من التطاول والفرية وزرع الشر والفتنة.

وفي هذا الصدد حذّر المجتمعون من خطورة خطاب الكراهية والتحريض، وأن المسلم يسعد بالخير للناس أجمعين، وأن دعوته تسير على هدي كريم من قول الله تعالى:« فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»، وقوله تعالى: «ادعُ إلى سَبيل رَبِّك بالحِكْمة والمَوعِظَة الحَسَنَة»، وقوله سبحانه: «لا يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»، وقول النبي: « يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا» وقوله : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحُسن الخُلق»، وأن الإسلام ما انتشر وسرى في العالمين إلا بالعدل والإحسان، والكلمة الطيبة، والقدوة الحسنة، وتحرير العقول، وتأليف القلوب.

• أن أهل العلم والإيمان هم أكثر الناس فهماً واستيعاباً لسنة الله تعالى في خلقه حيث الاختلاف والتنوع والتعدد، مع إيمانهم بضرورة التعايش مع الجميع، وأنه لا يَضِيق ذَرْعاً بهذه السنة الكونية إلا من قل علمه وضل فهمه.

• أن الإرهاب لا دين له ولا وطن وأنه مُنْبَتُّ الصلة عن مدارس ومناهج أهل الإسلام كافة، على تنوعها وتعددها بموافقاتها ومخالفاتها المحمودة، وأنه نِحْلَةٌ فاسدة كفَّرت مَنْ سواها امتداداً لمنهج أسلافها.

وأشاد المؤتمر بالأصوات المنصفة من غير المسلمين التي أكدت على أن الإرهاب نزعة إجرامية لا صلة لها بدين ولا وطن، وأن الإسلام منه برئ، وأن التطرف سياق عارض يَصْدُرُ عن بعض المنتسبين للأديان كافة.

• أن يكون الدعاة على يقظة من إلهاب المشاعر المتسرعة، وأن معالجة ما يطرأ من قضايا وأحداثٍ تكون بالعلم والحكمة لا بالجهل والعجلة، وأنها محكومة بفقه الأولويات والموازنات والنظر في المآلات، وأنها إلى من ولاّهم الله أمرها لا لغيرهم.

• أن مع الأهمية الكبيرة الملاحقة العسكرية للإرهاب والخسائر المتلاحقة التي مني بها، إلا أنه كثيراً ما يسارع في استعادة قواه من خلال مُنْتَج رسائله الضالة، ما يؤكد على أهمية التصدي الفكري له، منوهين في هذا المجال بما استشرفته المملكة العربية السعودية من إنشاء مركز عالمي لمحاربة الفكر الإرهابي، ودعوة تاريخية تكللت بإنشاء تحالف عسكري إسلامي للتنسيق بين دوله لمحاربته عملياتيا وفكريا وإعلاميا، مع توحيد الجهود لقطع سبل إمداده وتمويله.

وبالجملة فإن مما تميزت به المؤتمرات والندوات التي عقدتها أو نظمتها رابطة العالم الإسلامي عموما اتسامها بما يلي:

• الشمولية والموضوعية في اختيار عنوان المؤتمر وصياغة محاوره وموضوعاته.

• اختيار النخبة من العلماء والمفكرين والأكاديميين للمشاركة في إعداد البحوث.

• إعداد بيان ختامي محكَم ورصين من قبل لجنة علمية مختصة بذلك .

• إعطاء الصفة الرسمية للمؤتمر أو الندوة بمشاركة جهة حكومية لرعاية المؤتمر، وإنشاء لجنة لمتابعة ذلك.

• العمل على نشر ما يصاحب المؤتمر من جلسات ومناقشات وبحوث، وذلك عبر شبكات إعلامية واسعة الانتشار تشمل الصحف والمجلات والمحطات التلفزيونية وشبكة الإنترنت.

• السعي في نشر وتعميم ما يصدر عن المؤتمر أو الندوة من نتائج وقرارات وتوصيات في البيان الختامي على مختلف المراكز الإسلامية والمنظمات الدولية في العالم، والتواصل معهم بشأن تفعيل وتنفيذ ما يمكن تنفيذه , بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي أو مع الجهات المسؤولة في الدولة .

الاختيارات الفقهية في مسائل

الحج والعمرة

بقلم د. محمد تاج العروسي

اهتم العلماء قديمًا وحديثًا بالأحكام المتعلقة بمسائل الحج، وحصل اختلاف بين أصحاب المذاهب الأربعة في بعض المسائل نتيجة اختلافهم في الأخذ بظاهر النصوص وعدمه، فمنها الواضح والمبهم، ومنها النص والظاهر، ومنها المجمل والمبين، والعام والخاص، والمشترك، والحقيقة والمجاز، والمنطوق والمفهوم، إلى غير ذلك من تنوع صيغ ودلالات، أو وجود تعارض بين الأدلة، مما جعل الفقهاء والمفسرين يختلفون في تفسير النصوص، واستنباط الأحكام، فتنوعت الآراء، واختلفت الأقوال. بدأ هذا الاختلاف منذ عهد الصحابة والتابعين، فعُرفت مدرستان: مدرسة أهل الرأي ومدرسة أهل الحديث، ولكل منهما رجالها من فقهاء الصحابة والتابعين وتابعيهم، وروادها من أئمة المذاهب وأتباعهم واستمر الخلاف إلى يومنا هذا، وفي ذلك رحمة للأمة إن شاء الله.

وقد سلك بعض الفقهاء مسلكًا جديدًا فذهب إلى اختيار الحكم حسب قوة الأدلة وتفاوت دلالات النصوص، فكان لعدد من العلماء قديمًا وحديثًا ما يُعرف بالاختيارات في مسائل الحج، منهم الشيخ ابن تيمية، وابن القيم، والشيخ ابن باز، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ محمد بن عثيمين وغيرهم من كبار العلماء. وهناك فتاوى الحج، مثل فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، وفتاوى الحج من برنامج نور على الدرب لعدد من هيئة كبار العلماء. وقام عددٌ من طلبة العلماء والعاملين في حقل الدعوة، بتلخيصها، ومعظمها مستخلصة من فتاوى كبار العلماء.

وقد تصفحت بعضها، فوجدت قرابة ٦٧٥ مسألة فقهية تتعلق بالحج، كما وجدت في فتاوى الحج للجنة الدائمة للإفتاء

بالسعودية « المجلد الحادي عشر» مسائل كثيرة تتعلق بالحج، ونظرًا لأهمية هذه الفتاوى اخترتُ عددًا من المسائل التي يكثر السؤال عنها في أيام الحج، والتي قامت بإصدار الفتاوى فيها اللجنة العلمية الدائمة برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وبعضوية كل من: الشيخ عبد الله قعود، والشيخ عبد الله غديان، والشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمهم الله جميعًا بعنوان: (اختيارات اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

واكتفيت بسرد الأسئلة والأجوبة، دون تعليق وإضافة، علمًا بأن بعض هذه المسائل التي اخترتها فيها أقوال للفقهاء، فالخلافات الفقهية ينبغي عدم ذكرها في الفتاوى إلا في نطاق ضيق، حتى لا تشوِّش على السائل، وإنما يُكتفي بالرأي الراجح حسب قوة الأدلة وتحقيق مصالح الشرع، ومراعاة التيسير على الناس، مع سد الذرائع على الباحثين عن الرخص.

واللجنة الدائمة للبحوث من هيئة كبار العلماء، لديهم إطلاعٌ واسعٌ للقضايا المستجدة، وإلمامٌ بمقاصد الشريعة، ومعرفةٌ تامة بالعلوم العربية، وأصول الفقه، والقواعد الشرعية، إضافةً إلى علوم الحديث، ويعتبر سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله من مجتهدي هذا العصر، وقد أعطاه الله سعة الأفق والصدر إلى جانب ما أوتي من الورع الشديد، في كل أقواله وأفعاله، أضف إلى ذلك أنه لم ينفرد بتلك الفتاوى بل انضم إليه عدد ممن وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد.

وهذا ما جعلني أختار من فتاويهم بعض المسائل التي يقع السؤال عنها قديمًا وحديثًا، ومعظمها تتعلق بالإحرام بعد تجاوز الميقات، والإحرام كذلك من جدة، وخاصة لمن يأتي عن طريق البحر من مصر والسودان، وكذلك حكم ترك المبيت بمزدلفة ومنى، وترك طواف الإفاضة لعذر شرعي، وخاصة في حق النساء الحيَّض والنفساء، والجمع بين طواف الوداع والإفاضة، وحكم من قَبَّل أهله وأنزل، أو ضاجعها قبل طواف الإفاضة، وخروج الزوجة للحج بدون محرم، والوقوف بعرفة نهارًا فقط، أو الانصراف قبل الغروب. وما يحدث من التقديم والتأخير في أعمال أيام التشريق، وحكم النيابة في الطواف والسعي، وتأخير طواف الإفاضة إلى ما بعد أشهر الحج لعذر شرعي، وما يحدث به التحلل الأصغر والأكبر، وما يجوز عملُه في كل منهما، وحكم تأخير الجمرات إلى ما بعد أيام التشريق، وحكم السعي قبل الطواف.

الأسئلة والأجوبة المختارة

السؤال: هل الإحرام من جدة جائز؟ وهل يجوز لهم الإحرام في نفس اليوم من حضورهم، أم على حسب ما يرونه مناسبًا؟

ج. جدة ليست ميقاتًا لحج أو عمرة إلا للمستوطنين، أو المقيمين بها، وكذا من وصل إليها لحاجة غير عازم على حج أو عمرة، ثم بدا له أن يحج أو يعتمر. أما من كان له ميقاتٌ قبلها كذي الحليفة لأهل المدينة وما وراءها، أو حاذاها برًا أو جوًا، وكالجحفة لأهلها ، ومن حاذاها برا، أو بحرا أ و مر بها جوًا، وكيلملم كذلك، فإنه يجب عليه أن يحرم من ميقاته، أو ما يحاذيه جوًا، أو برًا، أو بحرًا.

السؤال: حكم خروج الزوجة إلى حج الفريضة بدون إذن زوجها؟

ج: حج الفريضة واجب إذا توفرت شروط الاستطاعة، وليس منها إذن الزوج، ولا يجوز له أن يمنعها، بل يُشرع له أن يتعاون معها في أداء هذا الواجب.

السؤال: لاحظت كثيرًا من الحجاج يحرمون لدى وصولهم إلى مدينة الحجاج بحُجَّة أن مدينة الحجاج الحالية في جدة أكثر من مرحلتين و يعتبرونها ميقاتاً، وبعضهم يقيمون في منازل الأقرباء لمدة يومين أو ثلاثة أيام قبل أن يسيروا إلى مكة، ويقولون إن النية لأداء الحج أو العمرة تبدأ فقط عندما ينطقون ويظهرون فعلًا مثل تلك النية، بعد لبس الإحرام في جدة.

وبعض يسيرون إلى المدينة فورًا لدى الوصول إلى المملكة، دون الدخول في حالة الإحرام، ثم يلبسون الإحرام من المدينة فيما بعد قبل الحركة إلى مكة، رجاءَ التكرم بالتوجيه إذا كان هذا جائزاً.

ج: أولاً: حدَّدَ الشرع المواقيت المكانية، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم عيَّن مواقيت كلٍّ جهةٍ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «وقَّتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يَلَمْلم، هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة»، وهذه الأماكن لعبادة الحج أمورٌ توقيفية، فيجب على من مر بها مريدًا الحج والعمرة أن يحرم منها، فإن تجاوزها بدون إحرام وجب عليه الرجوع قبل الإحرام ليحرم منها، وإن لم يرجع وجب عليه دمٌ جبرًا للنسك.

ثانياً: لا اعتبار للمسافة بين الحرم ومكان الإحرام؛ لأن أماكن الإحرام محدودة من قبل الشرع. ثالثاً: إذا كان الأمر أنهم لا يمرون بميقاتهم عند القدوم للحج أو العمرة جوًا فإنهم يحرمون إذا حاذوا ميقات بلدهم؛ لأن حذو المكان بمنزلته.

رابعاً: ليست النية للحج والعمرة باللفظ فقط، وإنما الاعتبار للعزم والقصد الذي يكنه القلب، فإذا قدم الإنسان للحج والعمرة، قاصدًا أداءهما فلا بد من الإحرام من الميقات المحدد شرعًا، وإذا تجاوزه بدون إحرام وجب عليه دم جبرًا للنسك.

خامساً: إذا تجاوز الحاج أو المعتمر ميقات بلده بدون إحرام، ثم أحرم من ميقات بلد آخر غير ميقات بلده، فعليه دم؛ لأنه تجاوز ميقات بلده وأحرم دونه. وأما ما ذكرت من إحرام أهل بلدك من ميقات المدينة ذي الحليفة فلا حرج.

السؤال: نحن من أفراد القوات المسلحة، ونشارك في مهمة الحج سنويًا، ونقيم في منطقة الشرائع مدة المشاركة ما يقارب شهراً، ونكون على شكل مجموعات تتناوب حراسة في مكان بعيد عن المعسكر، والبقية الذين ليس لديهم مناوبة متواجدون في الخيام، ومستعدون لأي طارئ.

لذا نأمل من الله ثم منكم إفادتنا عن كيفية أداء الصلاة بالنسبة للمتواجدين في السكن، هل نجمع ونقصر أم لا؟ وكذلك بعض المعسكرات لديهم مساجد ويرغبون في إقامة صلاة الجمعة، هل تجب في حقهم صلاة الجمعة؟ وإذا كان بجانبنا حي تقام فيه صلاة الجمعة هل نصلي معهم؟في أثناء أدائنا للمهمة نذهب على شكل قافلة، ولا يسمح للقافلة بالتوقف في الميقات، ونتعدى الميقات إلى منطقة الشرائع خارج مكة، فهل نخرج إلى الجعرانة للإحرام منها، أم نرجع إلى السيل الكبير ونحرم منه؛ لأننا اجتزناه في أثناء مسيرنا، أو نحرم من مكان معسكرنا الذي هو الشرائع خارج مكة قرب الأميال؟ وكذلك تكون مهمتنا أحياناً في المدينة المنورة ونقيم عشرة أيام في المدينة أو أقل ثم نتحرك إلى مكة المكرمة، ونقيم فيها عشرة أيام أخرى ثم نرجع إلى المدينة مرة أخرى، وبجانب سكن هذه الكتيبة في المدينة معسكرٌ ثابت تقام فيه صلاة الجمعة، هل يصلون معهم الجمعة؟ أفيدونا عاجلًا جزاكم الله خيراً.

ونأمل الفتوى خطياً، حيث يحصل نزاع في كل عام حول كيفية أداء الصلاة، والله المسؤول أن يوفق الجميع للصواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ج: أولا: ما دام أنكم مجمعون الإقامة في الشرائع أو المدينة أكثر من أربعة أيام فإنكم تصلون الصلاة تامة بدون قصر ولا جمع؛ لأنكم في حكم المقيمين، وإن نويتم إقامة أربعة أيام فأقل أو لم تنووا إقامة مدة معينة فإنكم في حكم المسافرين، ولكم أن تقصروا الصلاة الرباعية وأن تجمعوا.

ثانيا: بالنسبة للإحرام للعمرة أو الحج ما دام أنكم ذهبتم للعمل وتجاوزتم الميقات فإذا أراد أحد الإحرام فإنه يحرم من مكانه داخل الميقات؛ لأنه دخل بنية العمل، وقد قال صلى الله عليه وسلم عند ذكر المواقيت: « ومن كان دون ذلك فمَهَلُّه من حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة » إلا من كان منكم عازمًا على الحج أو العمرة حين مروره على الميقات؛ فإن عليه أن يرجع إلى الميقات ليحرم منه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما وقّت المواقيت: « هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة ». أما الجمعة فعليكم أن تصلوها في المساجد القريبة منكم التي تقام فيها الجمعة.

السؤال: امرأة من اليمن أوصت ورثتها قبل موتها أن يجعلوا من يحُج عنها من مالها الخاص، ويوجد هنا في المملكة العربية السعودية وفي مدينة جدة من المغتربين اليمنيين ممن يثقون به لأداء هذه الفريضة، فهل يجوز الحج عن هذه المرأة ممن هم في مدينة جدة ؟ وهل يحرم من بيته في جدة أو يذهب إلى ميقات أهل اليمن الساحلي ويحرم من هناك، أو أنه يجب على الذي سيحج عن هذه المرأة أن يكون من اليمن؛ أي: خروجه للحج يكون من اليمن ؟ وهل يجب أن يكون هذا الحاج من بلدة هذه المرأة صاحبة الوصية؟

ج: يحج عن المرأة المذكورة من محل النائب إذا كان دون الميقات، أما إذا كان أبعد من الميقات فإنه يحرم من ميقات بلده، إلا أن يأتي إلى مكة من طريق آخر فعليه أن يحرم من الميقات الذي يمر به؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما وقت المواقيت: « هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمهله من حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة » متفق على صحته.

السؤال١: أ- إذا كان الدليل عند من قالوا بخروج أهل مكة إلى أدنى الحل في حالة العمرة هو أمره صلى الله عليه وسلم عائشة وعبد الرحمن ابني أبي بكر رضي الله عنهم، فهل كانت عائشة وعبد الرحمن رضي الله عنهم من أهل مكة حتى يُقاس على خروجهما خروج أهل مكة؟

ب- وإذا صح هذا - وعلى من صححه الدليل- فلماذا قصر النبي صلى الله عليه وسلم صلاته طوال إقامته بمكة ١٩ يومًا كما جاء في الرواية الصحيحة؟

جـ- وكذلك لماذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين ألا يمكثوا بمكة أكثر من ثلاثة أيام بعد النسك في حديث العلاء بن الحضرمي الذي رواه البخاري: « ثلاث للمهاجرين بعد الصدر» ، وهل كان عبد الرحمن وعائشة رضي الله عنهما إلا من المهاجرين؟

ج١: نعم، الدليل على أن الإحرام بالعمرة وحدها لمن كان في الحرم يجب أن يكون من الحل؛ هو أمره صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها أن تأتي بها من التنعيم، وأن يذهب معها أخوها عبد الرحمن رضي الله عنه محرمًا لها، مع أنه صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، فلو كان الحرم والحل بالنسبة لإحرامهما بالعمرة سواء لأمرها أن تحرم من الأبطح ، حيث نزلوا به وهو من الحرم، ولم يشق عليها وعلى أخيها بأمرهما بالذهاب إلى التنعيم ليلًا لتحرم منه عائشة ، ولم يشق على نفسه بفراقها ليلًا واضطراره لتحديد ميعاد اللقاء وهم على سفر، ولم يكن أمرها بذلك من أجل كونها من المهاجرين ومن غير أهل مكة ، فإن من كان نازلًا ببنيان مكة أو بأبطحها وهو من غير أهلها يحرم بالحج من مكانه، ولا يكلف الخروج إلى الحل أو إلى ميقات بلده، سواء كان من المهاجرين أم آفاقيًا غير مهاجر، وليس ثبوت الإحرام بالعمرة مفردة من الحل لمن أراد أن يعتمر من أهل مكة أو الحرم، بالقياس على ما جاء في حديث عمرة عائشة من التنعيم، بل هذا الحديث تشريع عام لكل من أراد العمرة وهو داخل حدود الحرم، سواء كان بمكة أم

خارجها، وســـواء كان آفاقيًا من المهاجرين أم من غيرهم؛ لأن أمر النبي صلى الله عليه وســـلم للواحد كأمره للجماعة، تشريع عام، إلا إذا دل على تخصيصه به دليل.
وبهذا تعرف الإجابة عن فقرة (ب) وفقرة (ج) فإنا قلنا: بأن عائشة وأخاهـــا عبد الرحمن رضي الله عنهما مـــن المهاجرين . اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

س٢: كيـــف من ركب الطيـــارة من المدينة إلى جـــدة وهو يريد العمرة، ماذا يفعل، هل يلبس الإحرام من مطار المدينة وينوي بالعمرة من حين ركوبه، أم ماذا يفعل؟ بيِّن لي.
ج٢: إذا أردت الســـفر بالطائرة من المدينة إلى مكة للعمرة فإنه يشـــرع لك أن تغتســـل وتتوضأ وضوء الصلاة، وتلبس إحرامك، وبعد إقلاع الطائرة مـــن المطار تلبي بالعمرة، وذلك قبل مجاوزة ميقات أهل المدينة، وهو: آبار علي .

س: مـــا حكم من أحرم بالعمـــرة بعد الحج من كدي ؟ إن ثلاثة نســـوة أحرمن بالعمرة بعد الحج مـــن كدي حيث مقر حجاج البر فـــي الأردن، وأحرم معهن رجل حيـــث كانوا على عجل إذ كانت غالبية القافلة معهن متمتعين إلا هؤلاء الثلاثة، ونظرًا لقربِ موعد الرحيل وعدم استطاعتهن الذهاب إلى التنعيم، وخوفًـــا من الازدحام الشـــديد هناك اجتهد بعـــض الناس أن يحرمن من كدي قياسًـــا لأمر الرســـول صلى الله عليه وسلم لعائشة أن تحرم من التنعيم ، وكذلك أحرم الرسول صلى الله عليه وســـلم بالعمرة من الجعرانة والتنعيم، والجعرانة وكدي مـــن الحل، فما حكم الإحرام من كدي بهذا الأمر، هل عمرتهن جائزة؟
ج: أخطأ هؤلاء الذين أحرموا بالعمرة من كدي؛ لأن كدي ليست من الحل، بل من الحرم، وليســـت كالتنعيم ، ولا الجعرانة؛ لأن كلًا مـــن التنعيم والجعرانـــة من الحل، وقد اعتمـــر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة، ولم يعتمر من التنعيم ، وإنما أمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يذهب مع أخته عائشـــة لتحرم بالعمرة من التنعيم؛ لأنها أقرب مكان من الحل إلى الحرم، ولو كان الإحرام بالعمرة داخل حدود الحرم جائزًا شـــرعًا لأذن لعائشة أن تحرم من مكانهـــا بالأبطح، ولـــم يكلفها وأخاها الذهـــاب إلى التنعيم للإحـــرام منه بالعمرة؛ لما في ذلك من المشـــقة دون حاجة وهم على ســـفر، وكان صلى الله عليه وسلم إذا خير بين أمرين اختار أيســـرهما ما لم يكن إثماً، وقياس كدي على التنعيم والجعرانة بالحل غيـــر صحيح؛ لأن الإحرام من المواقيـــت تعبدي وعمرتهم صحيحة، وعلى كل منهم ذبيحة لإحرامهم بالعمرة من الحرم.

السؤال: حججت هذا العام عن والدتي ونويت بالحج التمتع، لكـــن لضيـــق الوقت الزمني علـــي نويت الإفـــراد، وثانياً: إنني عندمـــا قدمت مكـــة في اليـــوم الثامن لم أتمكـــن من المبيت بمنـــى، وثالثاً: عندمـــا رجعنا من عرفات لـــم أتمكن من المبيت في منى ، ورابعاً: رميت الجمرات في الساعة الرابعة قريبًا من بعد منتصف الليل حسب التوقيت الزوالي، وهي ليلة العيد الأول. أرجو إفادتي عما ذكر أعلاه.
ج: تحويلك التمتع إلى إفـــراد لا يجوز، لكن نظرًا إلى أنك لم تحل إحرامك فتكون قارنًا يلزمك هـــدي القران، وأما عدم مبيتك في منى ليلـــة يوم التروية؛ لأنك لم تتمكـــن فليس عليك في ذلك شـــيء، وأما كونك لم تتمكن من المبيت بعد رجوعك من عرفة فالمبيت بمنى ليلة إحدى عشرة، واثنتي عشرة واجب من واجبات الحج، وكذلك مبيت ليلة ثلاثة عشـــر لمن لم يتعجل، ويجب في تـــرك المبيت على غير الســـقاة والرعاة، ومن فـــي حكمهم دم، وهو شاة، فإذا لم يجد صام عشـــرة أيام، وهذه الشاة تذبح في الحرم وتوزع على الفقراء، وهذا هو الأحوط، وأما رميك الجمار في الساعة الرابعة بالتوقيت الزوالي فنرجو أن لا يكون به بأس، ولو أنك أخرت الرمي إلى ما بعد طلوع الشمس من يوم العيد لكان ذلك أوفق للسنة.

س: في أحـــد الأعوام نويت بالحج والعمـــرة معًا وقت الإحرام، وعندما ســـارت الســـيارة مـــن قريتنا حوالي اثنـــين كيلو متر وجـــدت أن رفقاءنا في الحج أحرموا بالحج فقـــط -أي بالإفراد- فعملـــت مثلهـــم؛ لـــذا أرجو هل عليَّ شـــيء في ذلـــك أم لا؟ أفيدوني جزاكم الله خيراً، علمًا بأنني ذهبت للعمرة بعد ذلك في رمضان عدة مرات.
ج: إذا كان تحوّل نيتك من الإحرام بالحج والعمرة معًا إلى الإحرام بالحج فقط حصل قبل الإحرام فلا شيء عليك، وإن كان ذلك بعد عقد الإحرام بالحج والعمرة فلا يســـقط ذلك عنك حكم القران، ودخلت أعمال عمرتك في أعمال حجك، وعليك هدي التمتع.

س: نحـــن أربعة أفراد من منســـوبي جمعيـــة الهلال الأحمر الســـعودي، تم ترشـــيحنا للعمـــل الإســـعافي في المشـــاعر المقدســـة في حـــج عام ١٤٠٨هـــ، وكنـــا ننوي العمـــرة أثناء دخولنا مكة، ولكن الشـــخص الذي كان يـــدل الطريق داخل مكة واستعجل وقال: نحن متأخرون عن العمل ولا نستطيع الإحرام نســـبة لضيق الوقت زمن اســـتلام العمل، علمًا بأننا أدينـــا صـــلاة العصر في الميقات بالمســـجد بالســـيل الكبير، وذهبنا بعد صلاة العصر لمكان العمل، وبعد فترة العمل عدنا مـــرة ثانية إلى المدينة التي نعمل بها وبدون تأدية العمرة. فما حكم الدين في ذلك، ومـــا هي الكفارة؟ وإذا كان واجب علينا دم هل يتم تأديته في مكة المكرمة أم في المدينة التي نتواجد بها؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً.
ج: إذا لم يحصل منكم نية الدخول في العمرة وأنتم في الميقات فليس عليكم شيء.
وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

س: امـرأة ذهبت هنا في المملكـة لأداء الحج ثم حاضت قبل طـواف القدوم، فما حكمها؟ وهل يمكنها أن تذهب إلى عرفة في مدة الحيض وما حكمها؟

ج: تبقى علـى إحرامها وتفعل كلما يفعلـه الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت، حتى تطهر وينقطع دم الحيض وتغتسل

س: إننـي في عطلة الربيع الماضيـة اصطحبت أهلي وأولادي بنية زيارة أختي فـي الطائف ، ونأخذ عمرة والعلاج في جدة، هـذه هي النية أساسـاً، الذي حصل أننا أقمنـا في الطائف يومًـا ثم ذهبنـا إلى جدة مارين بمكة ولم نحرم من السـيل ، حيـث كنت أعتقد أنٍ ما في ذلك شـيء، فأخرنا العمرة حتى العودة من جدة ، وفعلاً بعد انتهائنا من جدة أحرمنا بالعمرة ونسـينا أيضًا لم نصـل ركعتين بعد الإحـرام، وكان يدور في نفسي بأن فيه ميقاتًا فيما بين جدة ومكة ، فلم نجد ميقاتاً، وواصلنا حتى الحرم وأخذنا عمرة. وعند العودة للعمل قصيت ذلك على بعض مدرسي المعهد العلمي، فقالوا: إن علينا دماً، وإنـه كان يجب علينا ألا نمر مكة حتى نأخـذ العمرة. فأرجو من سـماحتكم توجيهنا للصواب، وماذا يترتب علينا؟ والله يحفظكم.

ج: الواجب على من نوى العمرة ثم مر بالميقات أن يحرم منه، ولا يجوز له مجاوزته بدون إحرام، وحيث لم يحرموا من الميقات فإنه يجب على كل منكم دم، وهو ذبح شاة تجزئ في الأضحية تذبح بمكة المكرمة، وتقسـم على فقرائها، ولا تأكلوا منها شيئاً، أما ترك صلاة ركعتين بعد لبس الإحرام فلا حرج عليكم في ذلك.

السـؤال: لماذا حرم الله على الحجاج لبس المخيط، وما الحكمة من ذلك؟.

ج: أولا: فـرض الله الحـج على من اسـتطاع إليه سـبيلًا من المكلفين، مرة في العمر، وجعله ركنًا من أركان الإسـلام، لما هو معلوم من الديـن بالضرورة، فعلى المسـلم أن يؤدي ما فرضه الله عليـه؛ إرضاءً لله وامتثالًا لأمره، رجـاءَ ثوابه وخوف عقابه، مع الثقـة بأن الله تعالى حكيم في تشـريعه وجميع أفعاله، رحيم بعباده، فلا يشـرع لهم إلا مـا فيه مصلحتهم وما يعود عليهم بالنفع العميم في الدنيا والآخرة، فإلى ربنا الملك الحكيم سبحانه التشريع، وعلى العبد الامتثال مع التسليم.

ثانيا: لمشروعية التجرد من المخيط في الحج والعمرة حكم كثيرة منها: تذكر أحوال الناس يوم البعث، فإنهم يبعثون يوم القيامة حفاة عراة ثم يكسـون، وفي تذكرة أحـوال الآخرة عظة وعبرة، ومنها: إخضاع النفس، وإشـعارها بوجوب التواضع، وتطهيرها من درن الكبرياء، ومنها إشـعار النفس بمبدأ التقارب والمساواة والتقشـف، والبعد عـن الترف الممقـوت، ومواسـاة الفقراء والمسـاكين... إلى غير ذلك من مقاصد الحج على الكيفية التي شرعها الله وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم.

س: إنني أرغب في الحج إن شاء الله ومشكلتي هي: أنني رجل أصلع بدون شـعر يغطي الرأس، وبشرتي حساسة جداً، وأي أشعة شـمس تؤثر على صحتي، وتسبب التهابًا شديدًا في بشـرة الرأس، وظهور الشرايين بالرأس خاصة وبالوجه عامة، وكما تعلم أن من محظورات الإحرام عدم تغطية الرأس، أرجو سـماحتكم إفتائي عن هـذه الحالة، علمًـا أنني رجل قصير القامة، ولا أسـتطيع أن أحمل المظلة؛ لأنها تؤذي من حولي. هذا والله يرعاكم ويسدد خطاكم.

ج: إذا كان الأمـر كما ذكرت فإنك تغطي رأسـك وأنت محرم، وتفدي فتذبح شـاة تطعمها الفقراء في مكة ، أو تطعم ستة مسـاكين بالحرم: لكل مسـكين نصف صاع من تمر أو غيره من قـوت البلد، أو تصوم ثلاثـة أيام. هذا بالنسـبة للإحرام بالحج، وكذلك لو أحرمت بالعمرة فعليك فدية أخرى.

س: أقيـم بالمملكـة للعمل، وأنـوي أداء فريضة الحج، وجهة عملي نديتني هذا العام للعمل بالمشـاعر المقدسة، وعملي هنـاك لا يمنعني مـن أداء جميع المناسـك، إلا أنني لن أتمكن من لبس ملابـس الإحرام؛ لأن طبيعة عملـي ونظامه تفرض علي ملبسًا معينًا من المخيط. فماذا أفعل؟ وهل يكون حجي صحيحًـا إذا ذبحت فداء دون أن ألبس ملابـس الإحرام طوال أيام الحج؟

ج٣: إذا كان الواقـع كما ذكرت فحجـك صحيح، ولا إثم عليك في لبسك ملابس غير ملابس الإحرام؛ دفعًا للحرج عن نفسك، ولكـن تلزمك فديـة لذلك وهي إطعام سـتة مسـاكين من مساكين الحرم، أو ذبح ذبيحة تصلح أضحية تطعمها مساكين مكة أو سـائر الحرم، ولا تأكل منهـا، أو تصوم ثلاثة أيام، أيّ ذلك فعلت أجـزأك، وعليك مثل ذلـك عند غطاء الـرأس، إن كنت غطيت رأسك.

السـؤال: التطيـب بعد الإحـرام، بعد حضوري مـن القاهرة قمت بعمل عمرة مباركة، وأثنـاء دعائي والتصاقي بالكعبة الشـريفة في الملتزم وجدت يدي تلامس زيـت طيب الكعبة الشـريفة، وفي أثنـاء الهيام والروحانية بالكعبة الشـريفة والدعاء دهنت جسمي وشـعري وملابسي بهذا الطيب فوق الكعبـة ، بعدها انصرفت لاسـتكمال المناسـك، وتوجهت إلى زمزم حيث شـربت وتوضأت بماء غزير شـبه غسـيل رأس وجسم، ثم السعي والتقصير، وما جزاء ذلك المستحق؟ فما حكم هـذا التطيب بطيب الملتزم الذي لامسـته عفوًا بدون قصد ثم توضأت وأزيل تقريباً.

ج: ملامسـة يدك للطيب الموجود على الكعبة عفوًا ثم قيامك بعد ذلك بدهن جسـمك وشـعرك وملابسـك بالطيب وهو محظـور عليك، يجب في ذلك كفارة، وهـي صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، أو ذبح شاة، إلا أن تكون جاهلًا بالحكم الشرعي، أو ناسيًا فلا شيء عليك.

س: الرجل وزوجته توجها إلى الحج، وإن الرجل كان متمتعًا والمرأة غير متمتعة، واجتمع الرجل مع زوجته وهي محرمة، ما حكم الشرع في ذلك؟.

ج١: إن كان هذا الرجل جامع زوجته في تحلله بين العمرة والحج، أي أنه قد انتهى من أعمال العمرة ولم يحرم بالحج فليس عليه شيء، وأما المرأة فإذا كان جماعه لها قبل سعيها للعمرة فسدت عمرتها، وعليها دم وقضاء العمرة من الميقات الذي أحرمت منه بالأولى، أما إن كان ذلك بعد الطواف والسعي وقبل التقصير فالعمرة صحيحة، وعليها عن ذلك إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة، أو صيام ثلاثة أيام.

س: شخص حاج، وقع في محذور، وهو تقبيل زوجته وإنزاله خارج القبل بشهوة بعد رمي جمرة العقبة والحلق وقبل طواف الإفاضة، وهي غير حاجة، أفتونا مأجورين.

ج: لا يجوز لمسلم أحرم لحج أو عمرة أو بهما أن يتعرض لما يفسد إحرامه، أو ينتقص عمله، والقبلة حرام على من أحرم بالحج حتى يتحلل التحلل الكامل، وذلك برمي جمرة العقبة، والحلق أو التقصير وطواف الإفاضة والسعي إن كان عليه سعي؛ لأنه لا يزال في حكم الإحرام الذي يحرم عليه النساء، ولا يفسد حج من قَبَّل امرأته وأنزل بعد التحلل الأول، وعليه أن يستغفر الله ولا يعود لمثل هذا العمل، ويجبر ذلك بذبح رأس من الغنم يجزئ في الأضحية يوزعه على فقراء الحرم المكي، والواجب المبادرة إلى ذلك حسب الإمكان.

س: اعتمر رجل ومعه زوجته وأحرمت الزوجة بأن كشفت الحجاب عن وجهها، وعندما دخل الحرم رفض جندي داخل الحرم إلا أن تغطي وجهها، فغطته. فهل عليها شيء، وهل تعيد العمرة؟ وما رأي الشيخ رحمه الله في كشف الوجه في الإحرام للمرأة؟.

ج: تكشف المرأة وجهها وهي في نسك الحج أو العمرة، إلا إذا مر بها أجانب أو كانت في جمع فيه أجانب، وخشيت أن يروا وجهها، فعليها أن تسدل خمارها على وجهها حتى لا يراه أحد منهم؛ لقول عائشة رضي الله عنها: « كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها من على رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه » رواه أبو داود وقد يكون الجندي أمرها بستر وجهها عند دخول الحرم من أجل من فيه من الرجال الأجانب عنها.

السؤال: هل يجوز للمرأة أن تلبس البرقع وهي محرمة؟ فقد لبسه أهلي فلما رجعوا من الحج قيل لهم: إن حجكم غير مقبول؛ لأنكم لبستم البرقع. وهل يصح للمرأة أن تتطيب وهي محرمة؟ وهل يصح للمرأة أن تأكل حبوب مانع العادة في الحج؟ وهل يصح لها مثلًا أن تمسك برجلٍ غير محرم لها ولمن هو برفقتهم بالحج؛ لأنه زحمة، وخوفًا عليها من الضياع؟ وهل يصح لها الإحرام بالذهب؟.

ج: أ- لبس البرقع لا يجوز للمرأة في الإحرام؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: « ولا تنتقب المرأة، ولا تلبس القفازين » رواه البخاري ولا شيء على من تبرقعت في الإحرام جاهلة للتحريم وحجتها صحيحة.

ب- لا يجوز للمحرم التطيب بعد الإحرام، سواء كان رجلًا أو امرأة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: « ولا تلبسوا شيئًا من الثياب مسه الزعفران أو الورس »، وقول عائشة رضي الله عنها: « طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم، ولحله قبل أن يطوف بالبيت » متفق عليه ولقوله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي مات وهو محرم: « لا تمسوه طيبا » متفق على صحته.

جـ- يجوز للمرأة أن تأكل حبوبًا لمنع العادة الشهرية عنها أثناء أدائها للمناسك.

د. يجوز للمرأة إذا اضطرت في زحام الحج أو غيره أن تتمسك بثوب رجل غير محرم لها، أو بشته، أو نحو ذلك؛ للاستعانة به للتخلص من الزحام.

هـ . يجوز للمرأة أن تحرم وبيدها ذهب، أو خواتم ونحو ذلك، ويشرع لها ستر ذلك عن الرجال غير المحارم؛ خشية الفتنة بها . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

س: قرأت لسيادتكم فتوى بأن على المرأة أن تغطي وجهها وكفيها، حتى لو كانت محرمة بحج أو عمرة، وأنه من المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذكر أن المرأة أثناء الإحرام لا ترتدي النقاب ولا القفازين، فكيف تغطي المرأة وجهها أثناء الإحرام؛ هل ترتدي النقاب وهي محرمة؟ وهل ترتدي القفازين وهي محرمة؟ أم كيف تغطي وجهها وكفيها؟ ومن المعروف أنه في الحج يكون من المتعذر أن تبتعد عن الرجال لكثرة الزحام. نرجو تفصيل هذا الأمر ليتضح لنا الحق.

ج: لا تلبس المحرمة بحج أو عمرة نقابًا ولا قفازين حتى تحل من نسكها التحلل الأول، وإنما تسدل خمار رأسها على وجهها إذا خشيت أن يراها رجال أجانب، وليست خشيتها من ذلك مستمرة؛ لأن بعض النساء ينفردن بمحارمهن، ومن لم تتمكن من الإنفراد عن الأجانب تستمر سادلة خمارها على وجهها وقت المقتضي له، ولا حرج عليها في ذلك، وهكذا تغطي يديها بغير القفازين، كالعباءة.

السؤال: هل يصح للحاج أو المعتمر أثناء الطواف بالبيت أن يدخل من حجر إسماعيل أثناء طوافه؟

ج: لا يجوز للطائف بالبيت في حج أو عمرة أو طواف نفل أن يدخل من حجر إسماعيل، ولا يجزئه ذلك لو فعله؛ لأن الطواف بالبيت، والحِجر من البيت؛ لقول الله سبحانه: { وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ } ، ولما روى مسلم وغيره، عن عائشة رضي الله عنها قالت: « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجر، فقال: «هو من البيت» وفي لفظ قالت: إني نذرت أن أصلي في البيت، قال: « صلي في الحجر، فإن الحجر من البيت».

السـؤال: وصلتني رسالة من أخت سـورية، اسمها سهيلة الجاعون من حلب بسـوريا ، تطالبني بحل مشـكلتها التي تدور حول أنها لم تتمكن بعد الحج أن تطوف طواف الإفاضة؛ لعلـة ألمت بهـا، وأقعدتهـا ومنعتهـا من الحركـة وأرقدتها الفراش، ثم إنها لم تتمكن عندما برئت من هذه العلة القيام بطواف الإفاضة؛ نظرًا للظروف التي أحاطت بالمسجد الحرام نتيجـة الإفك بظهور المهدي، وما ترتبـت عليه من اعتداءات على مقدسـاتنا في الرحاب الطاهرة، واضطرتها للسفر إلى بلادهـا لرعاية أبنائهـا الصغار هناك قبـل تطهير الحرم من المعتديـن عليه، وظلت حتى هذه اللحظة دون التحلل الأكبر من الإحرام بالحج.

فالسـؤال المطروح الآن: هل لهـا أن تنيب عنهـا للقيام بهذا الطـواف، أم أنها يحتم عليها العود إلى المسـجد الحرام لتؤدي طواف الإفاضة بنفسها؟

ج: طـواف الإفاضة ركن من أركان الحج لا يتم التحلل الأكبر دون الإتيان به، وما ذكرته قد يكـون لها عذر في التأخير، وعليها: أن تعود فوراً، وتطـوف طواف الإفاضة الذي لا يصح الحج بدونه، ولا تجزئ فيه الاستنابة.

س: مـا حكم التبرع بأجر الطواف لشـخص آخـر، حيث إن البعض إذا رأى شـخصًا سيذهب يقول له: خذ لي سبعاً، أي: سبعة أشواط، ينوي أجرها له، هل هذا جائز أم لا؟.

ج: الطواف بالكعبة لا يقبل النيابة، فلا يطوف أحد عن غيره إلا إذا كان حاجًا عنه أو معتمـراً؛ فينوب عنه فيه تبعًا لجملة الحج أو العمرة.

س١: اغتسلت من الميقات للإحرام، وذلك في رمضان الماضي، ونسيت أن أتوضأ بعد الغسل، وصليت بالميقات وطفت بهذا الغسل، وصليت به الظهر، وبعد أن ذكرت وأنا في نفس الحرم هل فيه من مفتي، ولم أجـد أحدًا في ذلك الوقت، فقال أحد الجنـود: فيه رجل سـوف يفتيك، فذهبت إليه فسـألته عن طوافي وصلاتي بذلك الغسول دون وضوء، فقال: لي إن صلاتي وطوافي صحيحة، فما هو الصواب في ذلك؟.

ج: الفتـوى المذكورة غيـر صحيحة، ولا تـزال محرمًا بالعمرة؛ إذا كنت لم تعد للطـواف وأنت طاهر، وعليـك: أن تتوجه إلى مكة محرمًا في أسـرع وقت، وتطوف بالبيت وتسعى ثم تحلق أو تقصر، وبذلك تمت عمرتـك، إلا أن تكون جامعت امرأتك بعد الطواف والسعي المذكورين فإن العمرة تكون فاسدة، وعليك أن تقضيها كما ذكرنا، ثم تعتمر عمرة أخرى بدلاً منها من الميقات الذي أحرمت بالأولى منه، وعليك ذبح شاة في مكة تقسم بين فقرائها إذا كان حصل منك جماع بعد الطواف والسعي اللذين فعلتهما وأنت تظن أنك على طهارة، وعليك قضاء صلاة الظهر أربعاً، مع التوبة والاسـتغفار من تساهلك في أمر عدم عنايتك بسـؤال أهل العلم المعروفين في المسجد الحرام .وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

السؤال: أديت فريضة الحج، وكان بصحبتي ستة رجال وسبع نساء، أحرمنا جميعًا بالعمرة من أبيار علي، وعند وصولنا إلى البيت الحرام وقبل الدخول وجدنا ازدحامًا شـديداً؛ مما أدى إلى مضايقتنا خوفًا من ضياع النسـاء، وقبـل دخول باب البيت الحرام قلت لوالدي: دعنا نتوضأ، وكنت لست على وضوء وكان معي ثلاث من النسـاء لسـن على وضوء، ولكن والدي زجرني بقوله: الوضوء بالداخل، وأنـا أعلم أنه ليس بالداخل وضوء، وأخبرتـه بذلك، ولكنه كرر زجره لي فسـكت، ودخلنا البيت الحـرام فقلت: أيـن الوضوء؟ قال: هيا طف، قلـت: يا والدي لا يجوز الطواف من غير وضوء، ولكن دون فائدة، فلما وجدت أنه لا فائدة من إقناعه وإقناع رفقته ذهبت وتركتهم، ثم توضأت في الخارج ورجعت، ثم طفت وسعيت وقصرت وخرجت، ولكن النساء الثلاثة طفن وسـعين بغير وضوء وتحللن من الإحرام، وفي اليوم الثامن أحرمنا وذهبنا في اليوم التاسـع إلى عرفة، وفي غروب الشـمس يـوم عرفة ركبنـا وذهبنا إلـى مزدلفة فوصلناها حوالي السـاعة التاسعة مسـاء، وصلينا المغرب والعشاء قصرًا وجمعاً، ولكن قال والدي ورفقته: دعونا نذهب قليلًا عن تلك المكان لوجود رائحة كريهة به، فركبنا ولكن لم ننتبه إلا ونحن بالطريق السـريع، والذي كان مقفولاً الرجوع معه، فأخذنا مسارنا مع الطريق حتى عاودنا إلى عرفة حوالي الساعة الثانية عشر، فرجعنا مع طريقنا إلى مزدلفة ، ولكن كان الطريـق مغلقًا مـن ازدحام السـيارات، وبقينا بالطريق حتى طلعت الشـمس، فوصلنا إلى مزدلفة مـرة أخرى فلم نجـد مكانًا نقعد به؛ لأن الخيام مرتبطـة النصف من مزدلفة فبنينـا خيمتنا بمزدلفة ، وذهبنا جميعًـا لرمي الجمرة الأولى إلا النساء لم يرم منهن أحد، بل وكّلن من يرمي عنهن، وليلة الحادي عشر بتْنا في مزدلفة، وكذلك ليلة الثاني عشر إلا أنا، فبتُّ ليلة الثاني عشـر بمنى وحْدِي بعد أن تعبتُ في البحث عن وجود مكان أبيـتُ به، وبعد انتهاء ليالي التشـريق الأول والثاني وبعد رمي الجمرات وطواف الإفاضة ذهبت أنا والنساء الثلاث اللاتي طفن بغير وضوء فأمرتهن بالإحرام من التنعيم، وطفن وسعين وقصرن، وفي الليل طفنا جميعًا طواف الوداع، فذهبنا إلى أهلنا. أرجو الإفادة عن صحة هذا الحج إذا كان هذا واقعنا جزاكم الله خيرا، ماذا نفعل؟ أفتونا تفصيلًا مأجورين جزاكم الله خير الجزاء.

ج: أولا: لا دم عليكم لترك المبيت بمزدلفة؛ لأنكم أردتم ذلك فتعذر عليكم بغير اختياركم. ثانيا: لا دم عليكم لمبيتكم في مزدلفة أيام منـى إذا كنتم لم تجدوا مكانًا في منـى . ثالثاً: ليس على النساء الثلاث اللاتي طفن بغير وضوء دم، وإنما عليهن التوبة إلى الله سـبحانه وحج الجميع صحيح، ويعتبر حجهن قراناً؛ لأنهن أحرمن بالحج قبل طوافهـن للعمرة طوافًا صحيحاً. رابعاً: على أبيك التوبة إلى الله سـبحانه لمنعه ولده والنسـاء الثلاث من الوضوء قبل الطواف.

السؤال: إحدى السنوات ذهبت للعمرة في شهر رمضان، وقد أتممت الإحرام من الميقات، وعملت جميع ما ينبغي للعمرة، ولكن عندما وصلت محلة التنعيم بمكة المكرمة أحدثت حدثًا أصغر، وهو (البول) أعزكم الله، ولم يتسن لي الوضوء، وعندما دخلت الحرم تمكنت من الصلاة وصليت مع الجماعة بالحرم، وبعد الصلاة طفت وسعيت وأنا على حدثي، ومن ثم قصرت وتحللت من إحرامي. والسؤال: ماذا يلزمني وأنا بعيد عن الحرم؟ وماذا أفعل وما كفارة ذلك؟ أرجو الإفادة جزاكم الله خيراً.

ج: أولا: يحرم عليك أن تصلي أو تطوف وأنت على غير طهارة، ويجب عليك قضاء الصلاة التي صليتها وأنت على غير طهارة، مع التوبة والاستغفار مما وقع.

ثانيا: يجب عليك أن تعود إلى مكة وأنت محرم، وتطوف وتسعى لعمرتك؛ لأن طوافك على غير طهارة غير صحيح، ثم تحلق أو تقصر. وإن كان وقع منك وطء بعد عمرتك فسدت بذلك، ووجب عليك دم يذبح بمكة يوزع على فقراء الحرم، مع إعادة العمرة؛ لأن الأولى فسدت بالجماع، ويكون إحرامك بالثانية من الميقات الذي أحرمت منه بالأولى، وذلك بعد أدائك العمرة الأولى الفاسدة.

السؤال: حججت أنا وزوجتي في العام الماضي، وفي الطريق إلى مكة بدأت عندها الدورة الشهرية، وعليه لم تتمكن من طواف القدوم أو السعي، وكنا في الثامن من ذي الحجة، ووقفت بعرفة وهي حائض، ثم نُبْتُ عنها في رمي الجمرات، ولم تطهر حتى غادرنا مكة مع المجموعة التي قدمنا معها، ولم يكن يمكننا التأخر لتطوف طواف الإفاضة وتسعى، وبعد ثلاثة شهور تمكنا من زيارة البيت الحرام ثانية، حيث طافت وسعت. فهل يجزئ ذلك عن طواف الحج وتكون حجتها صحيحة؟ علمًا بأنها في الفترة بين الحج إلى الزيارة الثانية كانت قد أحلت إحرامها. وسبب حيرتي أن هناك من يقول: إن طواف الإفاضة يصح قبل انقضاء الحول، ومن يقول: إنه يصح في طول العمر. فهل معنى ذلك أن يظل الإنسان في إحرامه طول هذه المدة؟

ج: إذا كان الأمر كما ذكر فحجها صحيح، لكن إن كنت جامعتها قبل طوافها وسعيها للحج فعليها شاة تذبح في مكة وتوزع على الفقراء.

السؤال: أنا امرأة في الخمسين من عمري، وأريد من فترة سنتين أن أسافر لأداء فريضة الحج، والذي يعوق سفري هو أنني ليس لي محرم لكي يسافر معي، فزوجي لا هم له سوى الأموال والدنيا ولا ينوي السفر للحج، اللهم إلا إن كانت منحة من الشركة التي يعمل بها، وهذا أمر لن يتأتى له إلا حينما يأتي دوره وأخاف أن يأتيني الأجل وأكون مقصرة في ذلك، وقد ملكت الزاد والراحلة..... ومحارمي لا يستطيعون السفر معي لمشاغلهم، وعدم إمكانية السفر، وقد حاولت معهم، وكان الرد طبعًا بعدم الاستطاعة، فهل بعد كل هذا أجد لي مخرجًا فقهيًا في سفري بصحبة زوجة أخي المتوفى مع باقي نساء المجموعة التي سأسافر معها؟ مع العلم أنني محجبة وملتزمة بالزي الشرعي ولا نزكي أنفسنا، مع العلم أن هذه أول مرة أنوي فيها السفر للحج. جزاكم الله خيرًا.

ج: إذا كان الواقع كما ذكر -من عدم تيسر سفر زوجك أو محرم لك معك لتأدية فريضة الحج- فلا يجب عليك ما دمت على هذه الحال؛ لأن صحبة الزوج أو المحرم لك في السفر للحج شرط في وجوبه عليك، ويحرم عليك السفر للحج وغيره بدون ذلك، ولو مع زوجة أخيك ومجموعة من النساء، على الصحيح من قولي العلماء؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم « متفق على صحته إلا إذا كان أخوك مع زوجته فيجوز السفر معه؛ لأنه محرم لك. واجتهدي في الأعمال الصالحات التي لا تحتاج إلى سفر، واصبري رجاء أن ييسر الله أمرك، ويهيئ لك سبيل الحج مع زوج أو محرم.

وهذه المسألة الأخيرة تعتبر من أقوى المسائل التي حصل فيها اختلاف بين الفقهاء قديما وحديثا، والسبب ما أشرت إليه في المقدمة، وكان المذهب الشافعي والمالكي يجيز ذلك برفقة الرفقة الصالحة وهو اختيار ابن تيمية رحمه الله، ولكنني فضلت رأي اللجنة؛ لأنهم يرون أن من شرط وجوب الحج الاستطاعة، وهي وجود المحرم في حق المرأة، فلا يجب عليها إلا بوجوده، وفي نفس الوقت يفتون في المرأة التي تحج بدون محرم بأن حجها صحيح . ولكنها تكون آثمة فعليها أن تتوب.

وهناك مسألة أخرى في غاية الأهمية وهي ممارسة بعض الحجاج لبعض المخالفات الشرعية والتي تتعلق بالعقيدة عن جهل، واعتقاد أنها جزء من مناسك الحج، فمنها، الزيارات التي يقوم بها الحجاج في كل من مكة والمدينة لبعض الأماكن والمساجد باعتقاد أن لها صلة بأعمال الحج فعلي سبيل المثال . كنت في المدينة قبل أسبوع ورأيت على أبواب الفنادق أماكن الزيارة بالمدينة وفيها أكثر من عشرة مساجد، والأغرب من ذلك ، كنت في الساعة الثالثة ليلا في الروضة بالقرب من المكبرة، ورأيت الحجاج يتزاحمون في الممر الموجود تحتها، ويمسحون ويقبلون جوانب الجدار، وأثناء ذلك رفع أحدهم ليلمس سقف المكبرة، وإذا بأغلبهم يمدون بأيديهم إلى السقف ليفعلوا مثل ما فعل زميلهم، وبعضهم يجد صعوبة في الوصول إلى السقف فلذا يحاول القفز حتى يلمس السقف. ويرفعون أصواتهم بالتكبير أثناء ذلك.

ووجدت كذلك عددا من الحجاج الأفارقة يتزاحمون لصعود جبل الرماة في أحد، وأغلبهم كبار السن، ويحدث مثل ذلك في مكة في جبل ثور وجبل الرحمة بعرفات.

وهذا الأمر يحتاج من القائمين على أمور الحجاج التنبيه له، وإرشادهم لما ينبغي القيام به من أعمال الحج التي يتوقف عليها صحة الحج وقبوله . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الحج: مقاصد ومنافع متجددة

للدكتور حسن عزوزي

أستاذ بكلية الشريعة ـ فاس

مما لا شك فيه أن العبادات بما فيها الحج تعتبر محطات يتزود منها المسلم بنفحات ربانية وطاقات نفسية إيمانية تضمن له استمرارية وتدفق معاني ودوافع الخير التي تتغلب على بواعث ودوافع الشر. وإذا كانت العبادات توقيفية والغاية الرئيسة منها هي تحقيق العبودية والخضوع لله تعالى فهذا لا يمنع من أن نلتمس منها حِكَمًا ومقاصد جليلة؛ خاصة وأن الله تعالى قد أشار في كثير من الآيات القرآنية إلى بعض تلك الحكم والغايات والمقاصد. فالصلاة ينبغي أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر. ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه أثناء صيامه. والصدقة إنما تؤخذ من أموال الأغنياء لكي تطهرهم وتزكيهم... والحج «أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج»، إلى غير ذلك.

وإذا كان الأمر كذلك فإن مما ينبغي الاعتراف به أن كثيرا من العبادات التي يؤديها المسلم الغافل سرعان ما تنقلب لديه إلى عادات ذات رسوم وأشكال تحكمها الآلية والتكرار وتنعدم فاعليتها وتزول أمامه الحكمة من تشريعها فتصبح بذلك خالية من أي معنى، ومقطوعة الصلة بالأصول النفسية التي شرعت من أجلها تلك العبادات. حتى إن بعض الناس كثيرا ما يتساءلون عن سر عدم حصول أدنى تغير في سلوكه وتصرفاته ومستوى التزامه الإيماني لأنه لا يشعر بأي تغيير في موقعه قبل أدائه للشعيرة وبعده.

وإذا كانت فرائض الصلاة والزكاة والصيام تتكرر عدة مرات في اليوم أو السنة، فإن الحج قد فرض على المسلم مرة في العمر مما يستدعي الاستعداد التام لاستيعاب الأحكام والمناسك بدقة، وإدراك المقاصد والحكم بجلاء ووضوح. فالحج ليس مجرد مظاهر وشعائر يؤديها المسلم لكونها مفروضة عليه من ربه فحسب، ولكنه يحمل في حقيقته معاني سامية وأخلاقيات حسنة وفوائد اجتماعية جليلة ومقاصد ومنافع تتجدد باستمرار دائم.

إن مؤتمر الحج يعتبر الإطار الأساس لضمان الشعور المستمر لدى المسلمين بوحدة الأمة المسلمة. فهو الوسيلة المفروضة الباقية والدائمة لإلغاء الحدود وفتح الطرق والسبل الكفيلة لتلاقي المسلمين سنويًا وتواصلهم الروحي وتمازجهم الثقافي.و وسيلة للوحدة الإسلامية العالمية. فالكعبة هي النقطة المركزية التي تنتظم حولها دائرة المؤمنين العبادية حول العالم.

وحين يتجمع المسلمون حول الحج فهم يكتشفون سر تحويل كثرتهم العددية إلى وحدة واتحاد.

إن مواسم الحج تؤكد كل سنة أن إيمان الشعوب الإسلامية بالوحدة والأخوة في ظلال الإسلام قويٌ وراسخ ودائم. فالمسلمون إذا ما اجتمعوا من مشارق الأرض ومغاربها في صعيد واحد بنية واحدة وتلبية واحدة وهدف واحد. أحسوا بقوة الانتماء إلى أمة واحدة متماسكة فيشعر الجميع بالألفة والمحبة والتماسك والتعاون. ذلك لأن مبدأ المساواة الذي يعم الجميع بظلاله قد بدا في أبهى صُوره وأجلى معانيه.

وإذا كانت مقاصد الحج وحقائقه تزخر بالدلالات الواضحة وتطفح بالإشارات اللافتة التي تنطق بقوة وعمق المعاني الروحية لفريضة الحج فإن المتأمل بتمعن وروية في مجموع آيات الحج في القرآن الكريم سرعان ما يلتفت ويتنبه إلى بعض الفوائد الإيمانية والسلوكية والاقتصادية مما ترمي إليه تلك الآيات القرآنية. لكن الأمر المؤسف تخلف رؤية بعض المسلمين لمناسك الحج وحكمه ومقاصده وشعائره ومنافعه في محاولة مقصودة وغير مقصودة لتجريده من المعاني والفوائد المطلوب توفرها وتمثلها مصداقا لقوله تعالى: «ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات.» (الحج: ٢٨).

ولعل من أبرز مقاصد الحج في هذا السياق استعادة تاريخ النبوة والعيش لفترة على أرضها والرحلة باتجاه الماضي الحافل بالذكريات والمشاهد والمواقع بهدف القيام بعمليات المراجعة والتأمل والاعتبار. لأن في ذلك عونًا للمسلم الحاج - إن هو أحسن عملية الاستذكار والمراجعة والاعتبار- على تلمس مواطن الخلل في سلوكه وتصرفاته ونقاط الضعف والقصور في مستوى إيمانه ودرجة عبادته لكي يقطع العهد هناك عند البيت الحرام بالامتثال والالتزام بكل المعاني الخيرة والحكم الهادفة التي ترمي

إليها شعيرة الحج الخالدة.

إن الرحلة باتجاه الماضي في سياق الحديث عن الركن الخامس من أركان الإسلام يذكرنا باستحضار مسيرة الحج الإسلامي ابتداء من أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم. فعلى أرض النبوة يستشعر الحاج المسلم الإيقاع الروحي والحضور التاريخي لوحدة الوجهة والهدف بين النبوة الإبراهيمية والنبوة المحمدية الخاتمة «إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى» (الأعلى: ١٨-١٩).

وإذا كانت شعائر الحج ترتبط بأمكنة معينة فلأن هذه الأمكنة والبقاع المعينة تجدد ذكريات خاصة من شأنها أن تجعل الإنسان الواقف عندها المتأمل في حقيقتها وتاريخها يطهر نفسه ويزكيها. فالأمكنة التاريخية على أرض النبوة لا تقصد إذن لذاتها بقدر ما يتصل بها من ذكريات فهي رموز أو تعبير أو تجسيد لتلك الذكريات، وهي إنما يتم تقديرها نظرًا لما توحي إليه من ذكريات خالدة للإنسانية كلها.

من جهة أخرى يمكن القول بأن المسلمين حين يقومون بمناسك الحج إنما يعيدون - بطريقة عملية حية - ذكرايات التاريخ الإيماني الإبراهيمي على الأرض. فيفارقون أوطانهم كما فارق الخليل عليه السلام وطنه ويمرون بكل ما مر به إبراهيم وولده إسماعيل (عليهما السلام) إلى أن ينتهوا إلى التلبية (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).

إن هذا المقصد الأساسي الذي يهدف إلى الرحلة باتجاه الماضي من أجل الإنابة والاستقامة، يذكرنا بمقصد آخر يرتبط باتجاه معاكس وهو استحضار المسلم الحاج لمآله ومصيره عندما يبعث للحساب مجردا من كل شيء. و خلع المخيط بدل على التجرد التام من متعلقات الحياة الدنيا شكلا ومضمونا فيكون الحاج كيوم ولدته أمه. واللباس البسيط الذي يجب على كل حاج أن يلبسه على حدود الحرم يعتبر أولى الخطوات الرمزية التي يؤكد الله تعالى بواسطتها على كل عباده بأن البشر سواسية وأن الأشياء الظاهرية التي يتفاخر بها الناس هي كلها باطلة عند الله «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات: ١٣).

إن تخلي الحجاج عن ملابسهم الخاصة وارتداء لباس واحد بسيط يدل على ضرورة محو كل الامتيازات والفروق والطبقية بين الناس، وبذلك يبدو الجميع في لباس الإحرام المشترك وكأن لكل منهم وضعًا واحدا، فالكل عباد الله ولا وضع لهم سوى وضع العبودية لله.

إنها لحظات تذكر بالعودة إلى الجذور كما تنبه إلى يوم النشور، وبذلك فالحج يعتبر لونًا من ألوان الهجرة لكنه على وجه الخصوص فرصة لهجر ما نهى الله عنه.

إن الحج مسيرة العبد نحو الله، وهو منتهى القرب الذي يمكن أن يسمو إليه العبد من ربه في هذه الحياة الدنيوية. فعندما يقف الحاج أمام الكعبة يشعر أنه واقف أمام رب الكعبة، فالشعائر تؤدى في مكان تنزل فيه التجليات الإلهية وهو المكان الذي اختاره الله ليكون مركز الرسالة الدينية لأعظم داع إلى حياة العبودية الكاملة والتوحيد التام لله تعالى وهو إبراهيم عليه السلام.

ومن مقاصد الحج أيضا بالإضافة إلى ما سبق أنه شعيرة الجماعة وهي الشعيرة التي تتحقق في كثير من العبادات كالصلاة مثلا التي ترتبط بأهل الحي الواحد في القرية أو المدينة الذين يجتمعون في المسجد خمس مرات في اليوم والليلة. ومن الواضح أن شعيرة الجماعة في الإسلام تنطلق من الحي أو البلدة لتنتهي بالتجمع الإسلامي الكبير يوم الحج الأكبر. فالأذان بالحج يعتبر أعظم نداء لتجمع المسلمين وتلاقيهم «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم» (الحج: ٢٧-٢٨). واجتماع المسلمين على هذا المستوى العالمي أمر نادر في مجتمع البشر على مر التاريخ لا يدفع إلى المشاركة فيه سوى الوازع الديني القوي والرغبة الملحة في الاستجابة للأذان العظيم الذي نادى إليه رب العالمين. وفي عرفات يتحقق الوجود الفعلي للجماعة الإسلامية في أنبل الصور وأدعاها إلى التفكر والتأمل في هذا المقصد الحكيم الذي يرمي إليه تجمع الحجاج في صعيد واحد، حيث تتلاقى المناكب في موقف سواء، البيض والسود، العرب والعجم، الأغنياء والفقراء. إنهم جميعا في موقف العبودية لله وحده والخضوع لجلاله وعظمته وهو الموقف الذي يفرض تساوي البشر في كل شيء فتتلاشى كل الفروق وتضمحل كل الامتيازات وتزول كل المنازل الاجتماعية، ليتحقق بذلك الهدف الرئيس من الدين الحق في المجتمع البشري الذي أشار إليه تعالى بقوله: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم». فليس لأحد أن يرفع عقيرته مفاخرًا بروائع الثياب ولا بفخامة المنظر لأن المسلم متجه بجوارحه في رحلة خالدة ملبيًا نداء ربه ومؤكدًا بعمله ما ينطق به لسانه من أمور التلبية والدعاء. وبذلك يكون المسلم قد وعى وعيًا تامًا ورائعًا أن الأمر كله لله. وكم يحس المسلم بسعادة غامرة عندما يرى بجانبه على الموقف العظيم أخا له في العقيدة من أقاصي شرق آسيا أو من أدغال إفريقيا أو ممن تبدو عليه أمارات الدخول حديثا في الإسلام من أبناء أوروبا أو أمريكا. وأي سعادة أعظم من أن يرى مسلم من الفقراء غنيًا من الأغنياء أو كبيرا من كبراء القوم قد اصطف بجنبه يرفع مثله يديه لمولاه وهو يتضرع قائلا: «يا رب يا رب»، ليتأكد بذلك أن الإنسان مهما أوتي حظا كبيرًا أو نصيبًا وافرا في هذه الدنيا فإن له في الحياة مطالب لا يقدر على إجابته إليها إلا ملك الملوك.

إن شعيرة الجماعة في الحج تتحقق في أبهى صورها وأجلى مظاهرها يوم الحج الأكبر وهو اليوم الذي كانت له أهمية بالغة ظهرت في استثمار العرب له حتى في جاهليتهم قبل أن تشرق عليهم شمس الإسلام، حيث اتخذت منها قريش فرصة لتأكيد سيادتها وسلطانها، واتخذت منه قبائل العرب وسيلة للمكاثرة والمفاخرة، وأقامت الأسواق تباعًا في الموسم منذ فاخ ذي القعدة

حتى يوم الحج الأكبر لتحصيل المنافع والفصل في الخصومات، كما كانت أسواقًا رائجة لفنون الأدب وأصناف الشعر. ولما جاء الإسلام كان استثماره لهذا اليوم أرقى وأسمى. ففيه كانت الخطبة العظيمة الشأن خطبة الوداع التي أثرت في جماعة المسلمين آنذاك ووعاها التاريخ بعد ذلك وعيًا تامًا لأنها تضمنت تشريعات مهمة وأجابت عن تساؤلات ملحة وتضمنت الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، حتى إن هنالك من سماها خطبة البلاغ، لأنها كانت فعلا بلاغا للناس نظرا لما اشتملت عليه من مبادئ هامة وخطيرة وبلاغات مفيدة للناس. وظل يوم الحج الأكبر يؤدي مهمته المؤثرة في الجماعة الإسلامية، فقد اتخذ منه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ميقاتا لمحاسبة الولاة والعمال وجباة المال وغيرهم من كبار المسؤولين على امتداد الدولة الإسلامية، وتلقي المسلمون بعد ذلك بحق وحقيق إحدى المنافع العظمى التي وعد الله تعالى بها عباده الحجيج عندما قال: « ليشهدوا منافع لهم». ولا يخفى أن من أهم المنافع التي أبرزها القرآن الكريم شعيرة نحر الهدي: «ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير».

من هنا تتحقق روح الجماعة التي يقويها باعث التضحية في سبيل الإخاء والتضامن والتآزر، ولا شك أن إشراك الفقراء البائسين والمحتاجين من المساكين في طعام ما ينحر، يعبر تعبيرا واقعيا عن الإخاء والتعاون وتحقيق المساواة في الاعتبار البشري. كما أن المسلم يكسب إرادة قوية وسلوكًا قويما، فيربي نفسه على المشاق والمتاعب ويسعى إلى مساعدة الضعيف وتقديم العون لكبار السن، ولعل أبرز ما تتجلى فيه إرادة الحاج القوية عندما يبدأ رحلة الجسد والروح وهو يغادر أهله ووطنه فيترك أحبابه ويهجر بلده متحملا مشاق الرحلة وأعباءها رافعًا يده عن أمواله وممتلكاته في سبيل تلبية الأمر الإلهي العظيم، وهكذا جهز من أجل رحلته عدته وتزود من خير ما يتزود به المؤمن تنفيذًا لأمر الله تعالى: «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى» (البقرة: ١٩٧). وطرح مشاكل الدنيا خلف ظهره وطهر قلبه وروحه وثيابه استعدادا للطواف بالبيت الطاهر امتثالا لقوله تعالى: «وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود». (الحج: ٢٨). واشتاق إلى شهود مختلف المنافع التي وعد الله تعالى بها عباده الحجيج وهي منافع دنيوية وأخروية، ووضع أمامه مشهد يوم القيامة ونظر ببصيرته إلى ذلك اليوم العظيم الذي يحتاج فيه الإنسان المحاسب إلى ما يقوي به ميزانه: «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» (الشعراء: ٨٨).

وإذا ما اجتمع المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها في صعيد واحد بنية واحدة وتلبية واحدة وهدف واحد، أحس المسلم بالانتماء إلى أمة واحدة متماسكة فيشعر الجميع بالألفة والمحبة والتماسك والتعاون، ذلك لأن مبدأ المساواة الذي عم الجميع بظلاله قد بدا في أبهى صوره وأجلى معانيه.

ومن أعظم مقاصد ومعاني الحج الجليلة التدريب العملي على الانضباط والطاعة، مما له نصيبه الأوفى في أعمال الحج، فهناك أعمال محددة في أوقات معينة وفي أماكن مضبوطة، فالمواقيت مثلا عنوان الانضباط المكاني إذ لا يمكن للحاج أن يمر بالميقات المحدد له إلا وهو محرم، ويوم الوقوف بعرفة له حدوده المكانية ووقته الزماني مما يجب الانضباط والالتزام به. وهناك رمي الجمرات في أيام معدودة وفي أوقات معينة. و التأمل في الطريقة المطلوبة من الحاج لكي يقوم بالطواف حول الكعبة سبع مرات في اتجاه معين مبتدئا بالحجر الأسود ومنتهيا إليه دون زيادة أو نقصان، وبهيئة الانضباط وغير ذلك من التفاصيل الدقيقة التي تنبئ بجلاء عن «نظام معين» ينبغي للحاج أن يلتزم به ويتقيد بتفاصيله، وهو ما يكفل بشكل طبيعي التدريب العملي على الانضباط والتقيد بحدود الأمور وقواعدها ومواقيتها.

وينبغي أن لا ننسى بهذا الصدد أن في الحج أمورا لا يصل الإنسان بعقله إلى كنهها والجزم بحكمتها لكنه يمتثل للأمر فيؤديها في تواضع وخشوع وتضرع ليبرز بذلك منتهى إخلاصه لله وعبوديته له، وفي كل ذلك مظهر من مظاهر الانضباط الإسلامي الرفيع. فعلى على سبيل المثال تقبيل المسلمين للحجر الأسود امتثالا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتداء بفعله. وقد عبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك خير تعبير عندما قال: «إني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك». ويقول الإمام الغزالي: «وأما ترددات السعي ورمي الجمار وامتثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط».

وختاما نرى أن فوائد ومقاصد الحج ليست من النوع «الآلي»، فيحصل عليها كل حاج بالضرورة، بل يجب أن يتوفر الاستعداد المناسب لها في نفسية الحاج، فكل الفوائد من هذا النوع تنحصر في استعداد المرء، فهو يستفيد إذا كان مستعدا أو مهيئا نفسيًا وإيمانيا. من هنا ندرك أن إحياء الحج كفاعل مؤثر في الحياة الإسلامية يقتضي الاهتمام بإحياء ضمائر وبصائر الحجاج بما يوقظ في نفوسهم وقلوبهم أهمية إدراك أبعاد شعيرة الحج وما تتضمنه من منافع ومقاصد متجددة، وما لم يحي شعور الحجاج وشعور المسلمين بصفة عامة، فستظل عبادة الحج بدون أثر تماما لأن الحج ليس أقوالا وأفعالا مجردة من هذه المعاني العظيمة. والإسلام يربأ بالعبادة أن تتجرد من معانيها وأهدافها ومقاصدها لأنها بذلك سوف تغدو مجرد عادة وأشكال ورسوم وطقوس يقوم بها المسلم دون وعي أو إدراك لقيمتها، وإن نظرة فاحصة ومتمعنة في مجمل ما يرد حول هذه العبادة من حقائق رائعة تدلنا على الأثر الفاعل الذي تحدثه العبادة في بناء المجتمع. ويظل ما عرضنا له فيضًا من غيض تجود به حقيقة شعيرة الحج في الإسلام من مقاصد ومنافع ستظل دومًا تتجدد وتطفح بالمعاني السامية والأسرار الكامنة والعبر والعظات الجليلة.

دور رحلة الحج في نشر الإسلام في غرب إفريقيا

إعداد: د. محمد تاج العروسي

أثناء اطلاعي على الكتب التي صدرت من جامعة إفريقيا العالمية بعنوان "مؤتمر طرق الحج في إفريقيا"، لفت نظري في الكتاب الرابع (انتشار الإسلام واللغة العربية)؛ موضوع تناوله د. وائل نبيل إبراهيم عثمان. وهو البحث الذي عرض فيه لرحلات قام بها زعماء غرب إفريقيا وعلماؤها لأداء فريضة الحج، واحتكاكهم بالشعوب الأخرى في طريقهم إلى الحج وفي بلاد الحجاز، وما ترتب على ذلك من تزودهم بالعلم النافع، ثم نشرهم لمفهوم الإسلام الصحيح بعد عودتهم إلى ديارهم.

ونظرا لأهمية الموضوع قرأت عددا من الكتب التي ألفت حول ذلك قديما وحديثا، وخاصة مؤلفات علماء المغرب العربي، حيث عرف الأندلسيون والمغاربة بالولوع بالرحلة منذ القدم، فقد ذكر المقريزي في كتابه» نفح الطيب» أكثر من ثلاثمائة راحل ... وذكر أن أكثرهم يشدون الرحال لأداء فريضة الحج بالدرجة الأولى، ولزيارة الأماكن المقدسة، ولقاء العلماء والأخذ منهم، كما أن معظمهم يتجه إلى المشرق لوجود الأماكن المقدسة فيها، وكونها مهد الحضارة، ومهبط الوحي، وكثرة المراكز الثقافية فيها، وتوافر عدد كبير من العلماء المشهورين الذين كانوا مقصدا لطلاب العلم من كل البقاع، ولما تحتويه من مكتبات ومدارس عامرة بالكتب الجليلة، والمصنفات العلمية النفيسة، واطلعت كذلك على كتاب «انتشار الإسلام في غرب إفريقيا» للدكتور عبد الله عبد الرزاق، الذي ألف ضمن سلسلة «موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية»، ورأيت أن أتناول الموضوع كالتالي:

- رحلة زعماء غرب إفريقيا للحج وما ترتب على ذلك من خدمة الدين.
- أثر رحلة الحج في علماء غرب إفريقيا.

مفهوم غرب إفريقيا و السودان الغربي:

درج المؤرخون على تقسيم قارة إفريقيا إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: السودان الغربي ويشمل حوض نهر السنغال، ونهر غامبيا والمجرى الأعلى لنهر الفولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر.

القسم الثاني: السودان الأوسط، ويشمل حوض بحيرة تشاد.

القسم الثالث: السودان الشرقي، ويشمل الحوض الأعلى لنهر النيل جنوب بلاد النوبة.

و يقصد بغرب إفريقيا «السودان الغربي» المناطق التي تقع شمال خط الاستواء من مصب نهر السنغال حتى تخوم الحدود

الشـــرقية لنيجيريا، وتضـــم كلا من الســـنغال وغامبيا وغانا وسيراليون وليبيريا وساحل العاج وتوغو ومالي والنيجر ونيجيريا.

أهمية رحلة الحج:

الحج له مكانةٌ عظيمةٌ في نفوس المسلمين عامة وحجاج إفريقيـــا خاصة، وهي الرحلة التـــي تحن لها قلوب المسلمين على الدوام، ولقب «الحاج» من أشهر الألقاب الدينية في إفريقيا، فإذا أدى الإنسان فريضة الحج لا يُنادى باســـمه، وإنما يقال له الحـــاج، والحاجة. و يأتـــي الناس إلى العائد من الحج لزيارتـــه وأخذ الهدايا عنه تبركا. وهذا اللقب يضيف للحاج مهابة وتعظيمًـــا وتقديرا لدى الناس.

ولعل السر في ذلك ما يكنه الناس من محبة صادقة لهذه الشـــعيرة الدينية، وقلة من يذهب للحج في الأزمنة الغابرة، واستغراق الحج ســـنين عديدة؛ حيث يقطع حجاج إفريقية مسافات شاسعة برًا وبحرًا غير مكترثين بالمخاطر والكوارث التي تحدث لبعضهم. وقد تنقطع بهم أســـباب الســـفر ولا يعودون إلى ذويهم، وقد يصل الحاج إلى مكة ويعود إلى أهله ولكن بعد عناء شديد.

ويتمثل لســـان حال هؤلاء الحجيج بأبيات أنشـــدها الرحالة ابن جبير الأندلســـي معبرا فيها عن مشقة السفر والعناء التي لا قاها في رحلاته:

لا تغتـرب عـن وطـنٍ
واذكر تصـاريفَ النـّوى
أما تـــرى الغصـن إذا
مـا فـارق الأصـل ذوى

و مهما يكـــن من أمر فرحلة الحج تعتبر فـــي نظر المؤرخين من أهم العوامل التي ساهمت في نشر الإسلام في إفريقيا قديما، فهناك العديد من ملوك وعلماء غرب إفريقيا قاموا بأداء فريضة الحج، وأخذوا مزيـــدا من العلم عن العلمـــاء الذين التقوا بهم في الحجاز وفي طريقهـــم إلى مكة، وحملوا الكتب معهم لدى عودتهم ونشروا الدين في أوطانهم.

ونذكـــر على ســـبيل المثـــال ملوكَ مملكـــة مالـــي، والصنغاي (الســـنغاي)، وبعضَ العلماء الذين كانت لرحلتهم آثار في نشر الدين وتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى عامة الناس مثل: الشيخ جبريل بـــن عمر الذي حج مرتين وأقام فتـــرة طويلة في الأراضي المقدســـة وتأثر بدعوة الشـــيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عثمان بن فودي الذي تأثر بمنهج ابن تيمية في الدعوة، والشـــيخ عمر الفوتي الذي تأثر بحركة الشيخ عثمان الإصلاحية، وغيرهم من العلماء والمصلحين الأفارقة.

رحلة زعماء غرب إفريقيا للحج وما ترتب على ذلك من آثار:

وجدت رحلات ملـــوك غرب إفريقيا عناية مـــن الكتاب والرحالة والمؤرخين الذين وثّقوا لها، وسـّـجلوا وقائعهـــا وتفاصيلها في حينها، كابن بطوطة، وابن كثير، والعمري، ومحمود كعت، وكان من أشـــهر هؤلاء الزعماء (موسى ديجو) الذي حكم مملكة مالي من ٥٩٧ إلى ٦١٥هـ ، والتي قامت على أنقاض مملكة (غانا) الوثنيـــة، بعد أن هاجمها وأســـقطها المرابطون سنة ١٠٨٧م . وذكر ابن خلدون أن هذا الزعيم حج إلى مكة، واقتفى سننه ملوك مالي من بعده، ولما مات خلفه (منسا موسى) وهي بلغة الماندي (السلطان) أو (ملك الملوك).

وقـــد حكم هـــذه المملكة (منســـا موسى) من سنة (٧٠٧ هـ إلى سنة (٧٣٢ هـ ... وخلال فترة حكمه اتسعت حدود دولته اتســـاعاً كبيرا... وكان من أعظم زعمـــاء إمبراطوريـــة مالي، ومن أشـــهر زعماء إفريقيا في القرون الوسطى .ويعـــد عصره مـــن أزهى العصـــور، وقد عرف باسم (كنكن موســـى)، وهو لقب جده، وقيل اسم أمه، حيث اشتهرت بعض القبائل في غرب إفريقيا بنسبة الابن إلـــى أمه. وخلال فترة حكمه اتســـعت حـــدود الدولة ، فامتدت شمالا في الصحراء الغربية حتى اشتركت حدودها مع مراكش تقريبا، وغربا إلى المحيط الأطلسي، وشرقا حتى دولة الهوسا.

رحلته للحج:

بدأت هذه الرحلة في أواخر عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٤م، واستمرت سبعة أشـــهر، إلى أن وصل إلى مصر في عام ٧٢٤هـــ ١٣٢٤م ومر في رحلته بطريق تمبكتو وفولاته، ثم إقليم توات... وأكمل مســـيرته حتى وصل إلى ساحل الإسكندرية ثم القاهرة عام ٧٢٤هـ.

يقال: إن ســـبب عزمه على الحج أنه قتـــل أمه عن طريق الخطأ، فأسف لذلك أشد الأســـف، وندم على فعله، وخاف عقاب الله، فتصدق بأموال كثيرة، وعزم على صوم الدهر كله، وســـأل بعض العلماء فنصحوه بالحج.

وكان موكبه يمثل أضخم وأعظم موكب يخرج للحج في أوائل القرن الثامن الهجري /الثالث عشـــر الميلادي، فقد رافقته زوجته (إنارا كنـــت)، وجمعٌ كبير مـــن الأمراء والوزراء وحـــكام الولايات والقضاة والعلماء والفقهاء والأتباع والخدم والحاشـــية والعبيد، والكثير من العســـاكر لحماية القافلة من الغارات. وفي المقدمة (سليمان بن يعت) وكان بمثابة دليل للقافلة. إضافة إلى انضمام الكثير من أهالي الأقاليم التي يمرون بها رغبة في الحج، منذ بداية رحلتها وحتى وصولها المشاعر المقدسة في مكة والمدينة، وكان يركب على جوادٍ يســـير في مقدمته خمســـمائة رقيق، يحمل كلّ منهم ما يزن خمســـمائة مثقال من الذهب. وبذلك أصبح صاحب أشـــهر رحلة حج في التاريـــخ، وعرفت حجته بـــ (حجة

الذهب)... فقد حمل معه مائة جمل من الذهب في كل جمل ثلاثة قناطير، وأنفق كلها في سفرته تلك على من يقابلهم في الطريق من القبائل، وفي مصر والحجاز كذلك. وكان يبني مسجدًا في كل يوم جمعة في المكان الذي تتوقف فيه قافلته في طريقه إلى مكة.

ونظرا لكثرة ما أنفقه في الطريق وفي الحجاز، هبط سعر الذهب لفترة طويلة،كما أنه بعد عودته إلى مصر من الحج استدان مبلغا كبيرا من التجار في مصر، وسافروا معه إلى مالي لاستلام ما أقرضوه، وللاطلاع على الذخائر التي عنده. وكان ذلك سببًا من أسباب تتبع الأوروبيين لأخباره، ومجيئهم إلى إفريقيا للاستيلاء على خيراتها.

وقد ذكر ابن بطوطة حكاية تدل على طمع بعض الناس في مزيد من عطائه قال: إن السلطان منسي موسى كان معه قاضٍ من البيضان يكنى بأبي العباس... فأحسن إليه بأربعة آلافٍ مثقال لنفقته، فلما وصلوا إلى (ميمه) شكا إلى السلطان بأن أربعة الآلاف التي صرفت له سرقت من داره. فاستحضر السلطان أمير ميمه، وتوعده بالقتل إن لم يحضر من سرقها، وطلب الأمير السارق فلم يجد أحدا... فدخل دار القاضي واشتد على خدامه، فقالت له إحدى جواريه ما ضاع له شيء وإنما دفنها بيده في ذلك الموضع، فأخرجها الأمير وأتى بها السلطان، وعرَّفه الخبر، فغضب السلطان على القاضي ونفاه إلى بلاد الكفار الذين يأكلون بني آدم. فأقام عندهم أربع سنين، ثم رده إلى بلده، وإنما لم يأكله الكفار لبياضه؛ لأنهم يقولون: إن أكل الأبيض مضر لأنه لم ينضج، والأسود هو الناضج بزعمهم!

ومما يحكى عنه أنه عندما فرغ من رحلة حجه اشترى كمية كبيرة من كتب المالكية والمراجع العامة من مصر فرجعت الجمال محملة بالكتب. فقالوا عنه: «رحل بالذهب وجاء بكنوز الكتب».

وأحضر معه كذلك بعض المهندسين المعماريين من بينهم أبا اسحق الساحلي وهو مهندس وشاعر، وهو أول من أدخل إلى بلده نظام البناء بالطوب المحروق، وكذلك نظام السقوف المسطحة للمنازل والمآذن.

وبعد عودته من رحلة الحج أصبح من دعاة الإسلام وحول بلده إلى مساجد ومدارس ومكتبات. وكانت رحلته من أهم رحلات الحج؛ لما خلّفته من آثار مهمّةٍ في أنحاء العالم الإسلامي، بل في أوروبا. وأدت إلى شهرةٍ إمبراطورية مالي، وبرهنت على قدرة الأفارقة على التنظيم السياسي والاستثمار الاقتصادي. كما كانت مركزا للتعليم ونشر الثقافة الإسلامية، واستمرت هذه الثقافة والأدب لقرون عدة في السودان الغربي. واستمر حكام مالي الذين جاؤوا بعده على نفس المنوال من الذهاب للحج، وجلب عدد كبير من أئمة المذهب المالكي إلى البلد، وبناء المساجد والمنارات.

قصة توليه الملك:

ذكر ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ونقل عنه القلقشندي أيضا في كتابه صبح الأعشى يقول: «حكى ابن أمير حاجب سألت السلطان منسا بن موسى... عن سبب انتقال الملك إليه، فقال: إن السلطان الذي قبله وهو محمد بن قو (بكار الثاني) يعتقد أن البحر المحيط له غاية تدرك، فجهز مائتين من السفن وشحنها بالرجال والأزواد التي تكفيهم سنة، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهاية بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)... فغابوا مدة طويلة، ثم رجعت منهم سفينة واحدة، وحضر قائدها فسأله عن أمرهم، فقال: سارت السفن زمانا طويلا حيث عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له جرية عظيمة، فابتلع تلك المراكب، وكنت آخر القوم فرجعت بسفني، إلا أن الملك محمد بن قو لم يصدقه فجهز ألفي سفينة ألف للرجال، وألف للزاد، واستخلفني على الملك وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك، فكان آخر العهد به وبمن معه...». يقول ابن فضل الله معلقا: «وكان من آثارها الباقية ما وجد من محاريب ونقوش إسلامية في أمريكا، وأن الزنوج الذين وجدهم كولومبس في رحلته هم أحفاد وأبناء الملك محمد بن قو».

والقصة تدل دلالة واضحة على أن مالي التي تعتبر من الدول الفقيرة الآن كانت في يوم من الأيام من الدول الغنية، بدليل قدرتها على تجهيز حملة عظيمة كتلك، حيث تتمتع بثراءٍ فاحش في القرنين الثالث والرابع عش الميلادي، فقد وهبها الله مناجم الذهب، وكانت تسيطر على نصف تجارة الذهب العالمية، هذا إضافة إلى تجارة الملح والبضائع الأخرى. وكانت الصحراء الغربية تحت حكمها، وقد أكد كريستوفر كولومبوس بنفسه في إحدى المخطوطات التي كتبها بيده أن الأفارقة قد سبقوه في الوصول إلى القارة الأمريكية، بدليل أن سكان أميركا الأصليين قد تعلموا كيفية إذابة وصهر الذهب.

وهناك سؤال مهم: كيف تحولت مملكة مالي من أغنى دولة في الزمن الغابر إلى دولة فقيرة في العصر الحاضر؟ وكيف تحولت إفريقيا من قارة غنية بالخيرات إلى قارة متخلفة بسبب الفقر والجهل؟

آثار رحلته:

ذكر المؤرخون آثارا عديدة ترتبت على رحلته للحج ، نلخصها فيما يلي:

• التقاؤه بالفقيه عبد الرحمن التميمي، حيث عاد برفقته إلى مالي.

• اجتماعه في مكة بالشاعر الأندلسي إبراهيم الساحلي الطويجن، وكان نتيجة تلك المحادثات أنه قرر السفر إلى مالي والاستقرار فيها حتى توفي عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٨م وكان له جهد كبير في ازدهار الحركة العمرانية في مالي والدول المجاورة.

• إنشاؤه الكثير من المساجد في معظم القرى والمدن التي مر بها، وفي مدن مالي.

• ذاع صيته وأخبار موكبه في أوروبا, فَأُصْدِرَتِ الكثير من الخرائط, ورسم عليها طرق أهم المدن في مالي, كما رُسم طريقٌ يمر بجبال أطلس ثم الصحراء الكبرى, وينتهي في مالي.

• انتشار الإسلام في مناطق السودان الغربي, وازدهار الحركة العلمية بعد أن رحل إليها عدد كبير من العلماء من البلدان المختلفة وخاصة من إفريقيا وآسيا الوسطى.

• تحقيقه أهدافاً علمية ودينية في وقتٍ واحد, حيث نتج عن رحلته للحج سفر الكثير من الحجاج وطلاب العلم الأفارقة فيما بعد لتلقّي العلم في المراكز العلمية المختلفة, سواء في بلاد الحرمين أو في مصر.

• اهتمام علماء الحرمين بتعليم الحجاج الأفارقة مبادئ الدعوة الإسلامية, وكافة العلوم الدينية, وخاصة السيرة وعلوم الفقه, والتوحيد, والتفسير.

• حصول عدد منهم على الإجازة في الفنون المختلفة, وعودتهم إلى بلادهم لنشر الإسلام والعقيدة الإسلامية والثقافة العربية بين شعوبهم في بلاد السودان الغربي عامة وبين قبائل الهوسا وشمالي نيجيريا.

• هجرة فقهاء المالكية من مصر والحجاز إلى غرب إفريقيا لتعليم الناس أصول دينهم وتعاليمه, ونشر المفاهيم الصحيحة للدين, ومحاربة بعض التقاليد التي تتنافى مع الإسلام مثل إهداء البنات للملوك بدون عقد الزواج.

• توفير فرصة للحجاج لتعلم أمور دينهم بالاحتكاك بإخوانهم المسلمين أثناء أداء شعائر الحج ,وأثناء مرور الحجاج بالمراكز العلمية الموجودة في مصر وغيرها من البلدان.

رحلة ملوك مملكة الصنغاي " سنغاي" الإسلامية للحج:

كانت صنغاي دولة صغيرة في الأصل, وكانت تحت حكم مالي وهم مجموعة من قبائل زنجية كانت تعيش غرب نهر النيجر في المنطقة الواقعة اليوم شمال بنين وغربي نيجيريا, ثم انتقلت مع نهر النيجر إلى الشمال... وحلت محل مملكة مالي في الآونة الأخيرة بعد ضعفها وسقوطها. تغلغل الإسلام وسط شعب هذه الدولة, وأصبح ملكها ضياء كوسوس مسلمًا في سنة ٤٠٠هـ, ١٠٠٩م.

من أشهر ملوكها (أسكيا الحاج محمد الأول) فقد قام برحلة الحج عام ٩٠٢هـ الموافق ١٤٩٦م, واصطحب معه خمسمائة فارس, وألف جند, وحمل معه ثلاثمائة ألف مثقال من الذهب, وقد استقبله شريف مكة من أسرة الحسنيين استقبالا كريما, ومنحه لقب خليفة. وعاد أسكيا محمد أول إلى بلاده, وقد ازداد حماسة في خدمة الإسلام... ونهض بتطبيق الشريعة الإسلامية على هدي القرآن الكريم, والسنة النبوية, وكرس معظم وقته ونشاطه لإقامة المدارس التي تخرج فيها الفقهاء وأهل اللغة ورجال الثقافة الإسلامية, وقوَّى العلاقة

والصداقة بين إمبراطوريته ودول شمال إفريقيا, مما شجع تدفق العلماء من تلك المنطقة... واشتراكهم في تعميم الثقافة الإسلامية على السكان في منطقة السودان الغربي والأوسط, كما مكن العلماء من تكوين طبقة خاصة بهم, ومن إيجاد مراكز الثقافة الإسلامية, وانتعاشها في مدن» تمبكتو, وجيني, وكاتسينا, وكانو, وصكتو . وكان له جهد كبير في نشر الإسلام بين الوثنيين من جيرانه (الماندنجو) و(الفلاني) في الغرب, والطوارق والبربر في الشمال, والهوسا في الجنوب.

وقد وجدت في كتب المؤرخين ثناءً عاطرا على جهود ملوك هذه الدولة في خدمة الإسلام, واهتمامهم كذلك بأداء فريضة الحج والحرص على تلقي العلم من علماء الحجاز وغيرهم. وهذا ليس قاصرًا على ملوك هاتين الدولتين, بل هناك ملوك آخرون في إفريقيا لهم مثل هذه الجهود, ومن يريد المزيد فليراجع كتب التاريخ.

البلاغ الأخير
معالمُ في خطبة الوداعِ

بقلم: الدكتور عثمان ضميرية

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تسع سنوات لم يحج، ثم أذّن في الناس بالحج في السنة العاشرة، فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله. وبينما هو - صلى الله عليه وسلم - في تلك الحجة في عرفة، نزل الوحي عليه بقوله تعالى:
« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» (المائدة: ٣).

إكمالُ الدِّين وعيدُ المسلمين:

فكان ذلك إيذاناً بالنعمة السابغة على هذه الأمة، فقد أكمل الله تعالى لهم الدين، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمَّه فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه لهم ديناً فلا يسخطه أبداً، ولا يبتغ عنه إلا من سفه نفسه.

وكان ذلك هو البلاغ الأخير الذي يبلِّغه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، ولقد أدرك المسلمون مدى ما تعنيه هذه الآية الكريمة وما يرمي إليه ذلك البلاغ.

فلما نزلت هذه الآية، وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر بن الخطاب صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يبكيك، قال: أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فأمّا إذا أُكمل، فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت).

ولما جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرؤون آية في كتابكم، لو علينا نزلت ـ معشر اليهود- لا تخذنا ذلك اليوم عيداً.

فقال عمر رضي الله عنه: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ نزلت عشية عرفة في يوم الجمعة، وكلاهما بحمد الله لنا عيد().

البيان النبوي والبلاغ الأخير:

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة، وكأنه عليه الصلاة والسلام قد استشعر دنو أجله، وخطب خطبة جامعة في عرفة عند ما زالت الشمس، وخطب أيضاً في يوم النحر خطبة أخرى، وخطب في وسط أيام التشريق.

وفي هذه الخطب كلها أرسى رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قواعد التشريع ورفع منار الإسلام وأعلى من مكانة الإنسان ببيان حقوقه وواجباته وحرماته وأهدر كل ما كان من شأن الجاهلية... فغدت هذه الخطب دستوراً جامعاً للمسلمين. وقد وجدت أنه من الخير -إن شاء الله- أن نجمع فقرات من هذه الخطب الثلاث، لنستخلص منها بعض المعاني البارزة والأهداف السامية والمعالم الواضحة على طريق الإسلام.

قال صلى الله عليه وسلم ، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: ((يا أيُّها الناسُ: إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم، كحُرمة يومِكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستَلقونَ ربكم فيسألُكم عن أعمالكم، ألا لا تَرجِعوا بعدي ضُلّالاً، يضرب بعضُكم رقاب بعض. ألا وإنَّ كل شيء من أمْر الجاهلية تحت قدميَّ موضوعٌ. ودماءُ الجاهلية موضوعةٌ. وإنَّ أول دم أضع من دمائنا: دمُ ابن ربيعةَ بن الحارث ـ وكان مُسْترضَعاً في بني سَعْد فقتله هُذَيْل ـ. وربا الجاهلية موضوعٌ، وأول رباً أضع من ربانا، ربا العباس بن عبد المطلب، فإنَّه موضوعٌ كله: «فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله» (البقرة: ٢٧٩).

فاتقُوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتُم فروجهنَّ بكلمة الله، ولكم عليهنَّ ألا يُوطِئْن فرشكم أحداً تكرهونه، فإنْ فعلنَ فاضربوهنَّ ضرباً غير مبرِّح، ولهنَّ عليكم رزقُهنّ وكِسْوتُهنَّ بالمعروف. وإنَّ الشيطان قد يَئِس أن يُعبد في بلدكم هذا أبداً، ولكنه إن يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رضي مما تحقِّرون من أعمالكم. فاحْذَرُوه على دينكم. أيُّها الناسُ: إن ربَّكم واحدٌ، وإن أباكم واحدٌ، كلُّكم لآدمَ، وآدمُ من تراب، إنَّ أكرمَكم عند الله أتقاكُم، ليس لعربيٍّ على أعجميٍّ فضلٌ إلا بالتقوى. وقد تركتُ فيكم ما لن تضلُّوا بعده، إن اعتصمْتُم به: كتاب الله وسنتي.

ـ وأنتم تُسألون عني، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد

بلَّغتَ، وأدَّيت، ونصحتَ.
فقال بإصبعِه السَّبّابةِ، يرفَعُها إلى السماء ويَنْكُتُها إلى الناس: اللهمَّ اشهد، اللهمَّ أشهد ـ ثلاث مرات ـ.
وهذه الخطبة الرائعة الجامعة تتضمن أصولاً ومعالم بارزة في دعوة الإسلام ومدرجة الدعوة إليه:

(١) مقاصد الشريعة في الحفاظ على الضروريات الخمس:

لقد اقتضت إرادة الله تعالى وحكمته أن يبعث للناس رسلاً مبشرين ومنذرين، وأن ينزل عليهم كتباً تتضمن شريعة الله للناس، وما أنزل الله كتبه ولا بعث رسله إلا ليقوم الناس بالحق والقسط، فالشريعة كلها حق وعدل تحقق للناس مصالحهم وتدفع عنهم المفاسد والمضار، ضمن قيود شرعية وضوابط إلهية.

ومصالح الناس في هذه الحياة تتكون من أمور ضرورية، لا تستقيم حياتهم بدونها، وأمور حاجيَّة لدفع الحرج والمشقة، وأمور تحسينية كمالية تكمل ما سبق من مراتب، للأفراد والجماعات.

وهذه المصالح الشرعية ـ بمراتبها الثلاثة ـ تعني الحفاظ على: الدين والنفس والعرض والعقل والمال. وكل أحكام الشريعة ـ أي شريعة إلهية ـ جاءت لتحافظ على هذه الأمور الخمسة، من جهة وجودها، بتشريع الأحكام التي تتكفل بذلك، ومن جهة حفظها وصيانتها لئلا يقع عليها أي اعتداء، وإن وقع فيجب أن يتناول العقاب صاحب العدوان.

ولقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلمفي خطبة الوداع إلى هذه الضَّروريَّات، عندما قال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا».

وبذلك ضمن الإسلام للإنسان حقوقه كاملة غير منقوصة، وفي هذا تكريم لهذا الإنسان أيّما تكريم!

(٢) ـ المسؤولية الكبرى... والأمانة العظمى:

لقد منح الله تعالى هذا الإنسان ـ من بين سائر مخلوقاته ـ جميع القوى والطاقات، وزوده بكل المواهب والإمكانيات التي تساعده على عمارة الأرض وإقامة منهج الله سبحانه، ليحقق غاية وجوده فيها.

فأعطاه الله تعالى طاقة عقلية وأخرى روحية وثالثة جسدية، ومنحه الإرادة والحرية والاختيار، وجعل تركيبه أحسن تركيب وخلقه في أحسن تقويم... فكان ـ بذلك ـ أهلاً لأن يحمل أمانة التكليف، وبمقدار ما يعطى الإنسان بمقدار ما يطالَب، فلئن كان مكلفاً، فهو إذن مسؤول عن هذا التكليف والقيام به، لكي يجازى ويحاسب، تحقيقاً لحكمة الوجود، ونفياً للعبث عن أحكام الله -سبحانه- وخلقه.

فكان واجباً على كل مسلم أن يستشعر عظم المسؤولية، وأن يقدر هذا الإسلام حق قدره، فيعلم أنه سبب العزة والنصر والقوة والتمكين لهذه الأمة... وعندئذ فهو يحاذر من أن يرجع إلى الضلالة أو يتردى في الجاهلية بعد أن هداه الله وأنقذه، وهو يحاذر الذل بعد العزة، والضعف بعد القوة والهزيمة بعد النصر والتمكين.

وقد أدرك المسلمون الأولون، منذ عهد الصحابة ومن بعدهم، قيمة هذا الدين وأثره في حياتهم، فكان من ذلك كلمة عمر -رضي الله عنه-: لقد كنتم أحقر الناس وأذلَّ الناس، فأعزَّكم الله بالإسلام... فمهما تطلبوا العزّ بغيره يذلّكم الله عزّ وجلّ!

وذاك هو قوله عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع:

«وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً...».

(٣) ـ بين الإسلام والجاهلية:

الإسلام هو منهج الله الخالد للبشرية، الذي يعطي الإنسان التصور الصحيح عن الله والكون والحياة والإنسان نفسه، ويحدد العلاقة بين كل من هذه المقومات كلها، وعندما يثوب الإنسان إلى هذا المنهج الإلهي، فيستمد منه تصوراته وعقيدته وشريعته ومنهج حياته ونظامه الأخلاقي، يكون عندئذ مسلماً، والمجتمع الذي يتمثل فيه ذلك كله، يكون مجتمعاً مسلماً، وإلا فهي الجاهلية التي يتردى فيها الإنسان وينتكس.

والجاهلية هي حالة ترفض الاهتداء بهدي الله، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله، أو هي نظرية للحياة كاملة تعالج جميع المسائل الأساسية للحياة البشرية وتعرف جوابها وحلَّها على أساس من المشاهدة الحسية، دون أن تستمد ذلك من وحي الله سبحانه.

وعندئذ تتمثل الجاهلية في صور شتى، كتلك التي تنكر وجود الله تعالى، أو لا تنكر وجود الله، ولكنها تشرك معه آلهة أخرى في أي صورة من صور الشرك، سواء كان ذلك الشرك الذي واجهه رسول الله > عند وثني الجزيرة العربية بعبادة الأصنام والأوثان، أو كان في أي صورة أخرى من صور الشرك، كالتشريع و التحليل والتحريم من دون الله، وعزل الدِّين عن الحياة، أو حصره في بعض الشعائر التعبدية أو الأخلاقية، وهو ما نجده في الجاهليات المعاصرة.

ولما كان الإسلام هو دين الله ومنهجه الذي يتفق مع الفطرة ويحقق السعادة، وهو على نقيض الجاهلية وقف رسول صلى الله عليه وسلم ليُبطل ويُهدر كلَّ ما كان من أمر الجاهلية: عقيدة وعبادة ومنهجاً وخلقاً وعادات: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدميَّ هاتين».

(٤) ـ الدعوة بالقدوة:

عرفت البشرية في تاريخها الطويل كثيراً من الدعوات الإلهية والبشرية... بذل أصحابها جهودهم في إنجاحها والدعوة إليها

ونشرها في ربوع العالمين، ولكن لم يكتب لها من القبول والتأثير والنجـــاح ما كتب لدعوة محمد صلى الله عليه وســـلم ، ولقد تضافر على هذا النجاح جملة أســـباب ترجع إلى طبيعة الدعوة نفسها وخصائص المدعوين، وطبيعة الداعية نفسه، والوسيلة التي يتذرع بها ويمارس الدعوة من خلالها، لكي يقوم بتربية الأمة حتى تستقيم على منهج الله وتتحصن من غواية الشيطان... والوســـيلة الناجعة هي أن يبدأ الداعية بنفســـه، يلتزم هو بما يدعو إليه ويســـارع إلى امتثاله، ويتسق قوله مع فعله، قبل أن يدعو غيره، فقد كان صلى الله عليه وســـلم هو القدوة في كل مـــا يدعو الناس إليه، فكان إذا أمر بأمر بدأ فيه بنفســـه، وحمل أهله عليه، فهو إذن يدعو ويربى بســـلوكه وواقعه قبل أن يربي بكلامه ومواعظه.

وها هو صلوات الله وســـلامه عليه يقف في حجة الوداع ليهدر ويبطل عادات الجاهليـــة وثاراتها ورباها، ولكنه يبدأ بأقرب الناس إليه فيبطل ربا عمه العبـــاس بن عبد المطلب، ويبطل من تألات الجاهليـــة ودمائها دمَ ابنِ ربيعة بن الحارث من أقرب أقاربه، وبذلك يقطع لسان كل من يريدَ أن يتقوَّل على الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته.

أما لو لم يفعل ذلك فإن ألســـنة السوء ســـوف تنطلق قائلة: انظروا إلى محمد، إنه يهدر دمـــاء الناس وأموالهم، ويُبقي على أموال أقاربه ودمائهم.. أو ليس له ولا لأحد منهم شـــيء من ذلك ـ فلم يلحقه بهذا أذى أو ضرر!

ولذلك بدأ عليه الســـلام بنفســـه وبأقاربه في دعوته، وتلك هي ســـنة الدعوات وطريقة الأنبياء حكاها الله تعالى على لســـان شعيب عليه السلام:

«وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكـــم عنه، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب» (هود: ٨٨).

(٥) ـ إعلان الحرب على الربا:

يقيم الإســـلام نظامه الاقتصادي على أسس عقدية وأخلاقية، فالله ســـبحانه وتعالى هو خالق هذا الكـــون الذي نعيش فيه ونعمره، وهو خالق كل شـــيء في الســـماء والأرض، ولذلك فهو سبحانه المالك الحقيقي لكل ما فيه.

وقد جعل الله تعالى هذا الإنســـان مســـتخلَفاً في هذه الأرض، وقيَّده في هذا الاســـتخلاف بجملة من القيود التي فرضها في تنمية المال وكســـبه وإنفاقه، فلا يجـــوز أن يكون ذلك عن طريق الربا، الذي يتعارض مع الأسس الأخلاقية، لأنه يقوم على استغلال حاجة الآخرين، وفيه ينعدم التعادل بين الجهد والكسب.

ولذلك لـــم يأذن الله بحرب كمـــا أذن بحـــرب آكل الربا، وجاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشـــريفة تحـــذر منه وتبين عاقبته في الآخرة، كما تبين آثاره أيضاً في الدنيا، كما نجد ذلك في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية().

وحسبنا هنا الإشارة إلى موقف الرسول > في خطبة الوداع حيث أعلن إهدار الربا، وبذلك أرسى دعائم النظام الاقتصادي السليم الذي يحقق للإنسان الخير والسعادة.

(٦) المرأة والعلاقات بين الجنسين:

إن الأنظمة البشرية تخبطت كثيراً في نظرتها للمرأة والعلاقة بين الجنســـين، فتأرجحت فـــي انحرافها من أقصـــى اليمين إلى أقصى اليسار... وجاء الإسلام ليضع الأمر في نصابه في قضية من أخطر قضايا المجتمع، ونوجز ذلك في كلمات سريعة:

يقوم الكون كله على قاعـــدة الزوجية، واقتضت حكمة الله أن يكون الإنســـان ذكراً وأنثى، يميل كل منهمـــا إلى اللقاء بالطرف الآخر، ليتم بذلك الحفاظ على النوع الإنساني، وقد نظم الإسلام هـــذه العلاقـــة وجعلها تقوم على أســـاس من المـــودة والراحة النفسية، وليست مجرد علاقة شهوانية.

و يترتب على تلك الوحدة والمساواة في القيمة الإنسانية: أن يكون خطاب التكليف موجهاً أيضاً للطرفين ، الرجل و المرأة، لا يُعْفَى منه أحد، ولا يتميز أحدهما عن الآخر في أحكام الشريعة، سواء في اتّباع الأوامر أو اجتناب النواهي التي تنزلت في القرآن الكريم، أو وردت في السنة النبوية الشريفة، لأنهم أَهْلٌ لذلك التكليف بما وهبهم الله وزوّدهم به من خصائص و مَلَكات وإمكانيات.

قال الله تعالى: «فاســـتجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عمل منكم مـــن ذكر أو أنثى بعضكم من بعـــض... الآية» (آل عمران: ١٩٥).

أي إن الذكـــور من الإناث، والإناث من الذكـــور، وليس بينهما فرق من جهة الفطرة والطبيعة البشـــرية، فلا يفرّق الله بين الذكور والإناث فيما يعملونه، ولا يضيع عمل عامل منهم.

وعُنِيَ الإسلام أيضًا ببيان وَحدةِ الزَّوجين-الرجل والمرأة- وتساويهما من حيث العلاقة بربِّهما وجزائهما عنده، فهما متســـاويان أمام الشـــرع أو القانون، وفي المســـؤولية والجـــزاء، أو الثواب والعقاب المترتبين على العمل.

ورغـــم هذه المســـاواة فهناك اختـــلاف في التركيب النفســـي والجسمي، اســـتوجب خلافاً بينهما في بعض القضايا كالميراث والشـــهادة وجعل الطلاق بيد الرجل وله القوامة على شـــؤون البيت مقابل ما يلتزم به من واجبات، ولذلك وقف الرسول عليه الســـلام يوصي المســـلمين بالنســـاء، وبيَّن بذلك نظرة الإسلام الكريمة للمرأة فقال:

«فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

(٧) حقوق وواجبات:

ثم فصل رســـول الله صلى الله عليه وســـلم شيئاً من الحقوق والواجبـــات على كلٍّ من الطرفين، فتلتزم المرأة بطاعة زوجها في الفراش كلما دعاها إليه، ولا تأذن لأحد بالدخول إلى بيته إلا بإذنه، وأن تحفظـــه في غيبته في أهله وماله ونفســـه، وله عليها حقٌّ

السمع والطاعة والقوامة.
ويلتزم الرجل بهدية التكريم وهي المهر، والمعاشرة لأهله بالمعروف، والنفقة بكل جوانبها، وله حق تأديب الزوجة عند النشوز، بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة ثم بالهجر في المضجع كعلاج نفسي، ثم بالضرب التأديبي بشروطه وضوابطه كعلاج بدني، ثم التحكيم بحكم من أهله وحكم من أهلها.
وإذا باءت كل هذه المحاولات في رأب الصَّدْع وعلاج النشوز، فليس هناك إلا التسريح بإحسان، كمرحلة أخيرة في العلاج. ويضيق هنا المقام عن التفصيل والتدليل على ذلك كله. فحسبنا هذه الإشارة المجملة.

(٨) ـ التوازن بين الحقوق والواجبات:

من السِّمات العامة للإسلام والخصائص المميزة له: ذلك التوازن بين الأمور المتقابلة، بحيث لا يطغى جانب على آخر أو يلحق به الضيم. وقد وازن الإسلام بين الحقوق والواجبات، فهما ـ كما يقال ـ وجهان لعملة واحدة، فالحق يقابله واجب، وكل إنسان يطالب بحقه ينبغي أن يقوم بأداء واجبه، فالحق الذي أطالب به هو واجب وتكليف على شخص آخر، وهكذا تصل الحقوق لأصحابها عندما يقوم كل منا بأداء واجبه.
وقد رأينا النبي صلى الله عليه وسلم ، في خطبة الوداع، يطلب المؤمنين بأن يقوموا بأداء ما وجب عليهم تجاه زوجاتهم: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله». ثم بين بعد ذلك ما لهم من حقوق على زوجاتهم: «ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه...».

(٩) هذا هو العدو... فاحذروه:

إن العداوة بين الإنسان والشيطان عداوة أبدية، منذ أن أمر الله ملائكته بالسجود لآدم واستكبر إبليس عن ذلك... فكان الشيطان عدواً لآدم، فينبغي على ذريته أن تتخذ الشيطان عدواً، وهو لا يفتأ يكيد لهذا الإنسان ويتخذ كل وسيلة ليصرفه عن الهدى والحق والخير، ولذلك جاء التحذير من اتباع خطوات الشيطان، فقال الله تعالى:
«يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين» (البقرة: ١٦٨) .
ولئن يئس ذلك الشيطان من أن يُعبد في الأرض بعد أن امتنَّ الله علينا بالإسلام، فهو يكتفي بالتحريش بين المؤمنين، ويكفيه أن يرى المؤمن يقوم بمحقرات من الأعمال، فقد أصبح على قابلية واستعداد لأن يقوم بما هو أكبر منها، فمن سار في الطريق خطوة واحدة سهل عليه متابعة الطريق إلى النهاية... ولذلك جاء في خطبة الوداع التحذير من الشيطان: «فاحذروه على دينكم».

(١٠) ـ سبيل النجاة... والعصمة عن الضلالة:

لقد امتنَّ الله تعالى على هذه الأمة، فأتم عليها النعمة وأكمل لها الدين، وبعث محمداً عليه الصلاة والسلام، وقلَّده أمانة التبليغ والأداء والبيان.
وقد فعل ذلك عليه الصلاة والسلام وقام بأداء الرسالة وإبلاغها، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وهي سبيل النجاة وسبب العصمة عن الضلالة والغواية، ولا أحد أعلم بهذا الدين من الله الذي أنزله، ولا من رسوله الذي بلَّغه.
فليس لأحد بعد أن يزعم أنه يكمل هذا الدين بشيء يأتي به ويبتدعه... فما الواجب إلا طاعة الله ورسوله، والتمسك بهذا الوحي المتلو» القرآن» وغير المتلو ـ السنة النبوية وإن حصلت المخالفة في ذلك فإنه الكفر الذي يحذر الله تعالى منه: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» (النور: ٦٣). والفتنة هنا هي الكفر.
وحسبنا أن تكون الوصية الخالدة للرسول عليه الصلاة والسلام والنصيحة الصادقة، يقدمها النبي للجموع المؤمنة في حجة الوداع، هي قوله عليه الصلاة والسلام: «وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي».

(١١) ـ مبدأ المساواة الإنسانية:

وقبل أن يختتم -عليه الصلاة والسلام- كلماته الغوالي، يُرسي مبدأ المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية المشتركة؛ فالناس كلهم متساوون في طبيعتهم البشرية، وليس هناك جماعة تفضل غيرها بحسب عنصرها الإنساني، وخلقها الأول، وانحدارها من سلالة خاصة، وما انتقل إليها من أصلها بطريق الوراثة.
فالتفاضل بين الناس إنما يقوم على أمور أخرى خارجة عن طبيعتهم وعناصرهم وسلالتهم، فيقوم على أساس تفاوتهم في أعما ل البر والخير، والكفاية في العلم والأخلاق، يقوم على أساس التقوى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» (الحجرات: ١٣).
فالكل يعبد رباً واحداً، وكلهم قد انحدروا من أصل واحد، والكلُّ من آدم: «إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، كلُّكم لآدم، وآدمُ من تراب، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم».

(١٢) ـ أمانة البلاغ والبيان:

وبعد أن قام -عليه الصلاة والسلام- بأمانة البلاغ المبين والأداء لهذه الرسالة والجهاد في سبيلها، خلال سنوات هي زينة هذا الدهر، جاهد فيها حق الجهاد، وصبر حق المصابرة... وأعطى للإنسانية خير ما يعطى لقد أبلغ رسالة ربه، وأدى الأمانة كاملة، ونصح للأمة.
وليس بعد هذا إلا أن يستوثق منه، ويُشهِد الله تعالى على هذه الشهادة التي نطقت بها الجموع المؤمنة الغفيرة في ساحة الرحمة والمغفرة.. فاللهمَّ اشهد، اللهمَّ اشهد.
والحمد لله رب العالمين.

من طرائف الحجيج

كتاب ثقافي يقدم التوعية والإرشاد بمدخل جديد

عرض: شاكر العدواني

مقدمة:

من يقرأ عنوان الكتاب يظن أنه في مجمله مجرد طرائف ومواقف حصلت في مواسم الحج سمعها أو قرأها أو شاهدها الكاتب الدكتور عثمان أبوزيد، يعرضها بغرض الإمتاع والمؤانسة فقط. ولكن منذ أن تبدأ في صفحات هذا الكتاب؛ تدرك ما يحمله من الفوائد الفقهية والثقافة الدينية المرتبطة بالحج، بأسلوب شائق. يسرد الكتاب الذي نشره حديثًا منتدى النهضة والتواصل الحضاري في الخرطوم رحلة الحج عبر الكثير من الطرائف والمواقف العفوية المليئة بالعبر والدروس، وقد جرى ترتيب الموضوعات حسب أعمال الحج، بدءًا من نفقة الحج وانتهاءً بطواف الوداع، راعى المؤلف فيها الاستشهاد بنصوص من الأحاديث النبوية إتمامًا للفائدة.

ويشير الكاتب إلى فائدة من فوائد القدوم إلى مكة، إذ يقول في مقدمته: «وذِكْرُ الحج والبلد الحرام يُدخِل السرور والفرح في النفوس، فما أكثر الأحزان والآلام التي تحيط بنا من كل جانب بسبب ما نرى ونشاهد من أحوال هذا العالم، وناهيك بالكعبة المشرفة من مُلتمَس لتفريج الهموم وكشف الغموم، ومن المجرَّب عند ساكني مكة المكرمة، أنهم كلما أحسوا بالضجر من رهق العمل ومكابدة المصاعب، لاذوا بالحرم وطافوا بالبيت، فيذهب عنهم ما يعانون».

وإليكم هذا العرض المختصر للكتاب:

نفقة الحج:

جاء في كتاب وفيات الأعيان أن الإمام سفيان الثوري قال:

• لما حج المهدي قال: لا بد لي من سفيان، فوضعوا الرُصُد حول البيت، فأخذوني بالليل، فلما مثلت بين يديه قال لي: لأي شيءٍ لا تأتينا فنستشيرك في أمرنا؟ فما أمرتنا من شيءٍ صرنا إليه وما نهيتنا عن شيءٍ انتهينا عنه.

فقلت له: كم أنفقت في سفرك هذا؟

قال: لا أدري، لي أمناء ووكلاء.

قلت: فما عذرك غدًا إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك؟

لكن عمر بن الخطاب لما حجَّ قال لغلامه: كم أنفقت في سفرنا هذا؟

قال: يا أمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً.

فقال: ويحك، أجحفنا بيتَ مالِ المسلمين.

وتطرق الكتاب لموضوع الحج بمال فيه شـــبهة، مستشهداً بما جاء في المستطرف لأبي الفتح الأبشَّيهي:

• قال أبو الشـــمقمق في شـــأن أولئك الذين يحُجُّون بمال يشوبُه الشك والشبهات؛ ولكنهم يعاندون أنفسهم، ويتخيلون أن الله سيغفر لهم:

إذا حججت بمال أصله دنس
فما حججت ولكن حجَّت العير
ما يقبل الله إلا كل طيبةٍ
ما كـــل من حـــجَّ بيت الله مبرور

الحج عن الغير:

للحاج أن يســـتنيب من يحج عنـــه، إذا عجز ببدنه وقدر بماله، عن ابـــن عباس، رضي الله عنهما، أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت : إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت، أفأحـــج عنها؟ قال: (نعم حجي عنهـــا، أرأيت لو كان على أمـــك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء). [أخرجه البخاري].

• في كتاب (محمد نصيف حياته وآثاره) أن الشيخ محمد نصيف كان يتلقى رســـائل وأموالاً من بعض البلاد ممن يطلب توكيل من يَحُج عنهم علـــى الصيغة المعروفة الحج عـــن الغير. وفي إحدى الســـنوات، أتاه رجل متأخرًا بعد أن أكمل الشيخ نصيف تقسيم التوكيلات. كانت علامات البؤس الشـــديد بادية على وجه الرجل، فبدأ الشـــيخ يعتذر له ويطيب خاطره. وفي هذه الأثناء دخل رجل يحمل كيسًـــا ليقول للشـــيخ نصيف: إن أمير دولة قطر ســـمو الشـــيخ علي آل ثاني بعـــث بهذا الكيس وقال هـــو لمن يحُج عن والدته. فالتفت الشـــيخ نصيف للرجل وقال له: وقع هذا الكيس من نصيبك، فأخـــذ الرجل الكيس وتهيأ للانصـــراف على الفور، فناداه الشيخ سائلاً: ولكن مهلاً، لم تقل لنا على أي مذهب سوف تحُج عن والدة ســـمو الأمير، فرد الرجل: أحُـــجُّ عنها على المذاهب الأربعة!

الطريق إلى مكة

اختار الكاتب قصصًا عن ســـفر الحج مـــن إفريقيا؛ تعطي أمثلة موحية لذلك الشوق القديم إلى مكة نعرض لكم واحدة منها.

حج الفقراء

للمفكر الجزائري مالك بن نبي رواية بعنوان: (لبيك.. حج الفقراء)، استوحاها من قصة واقعية كتبت عنها الصحف الجزائرية.

إبراهيم بطل القصة عامل بســـيط يعمل فحَّاماً ويســـكن في محل لبيـــع الفحم. كان عائداً ليلاً من الخمـــارة ثملاً كعادته كل ليلة، فمرَّ بمحطة القطار في عنابة فتأثر بمنظر الحجاج.

تهاوى على فراشه مصروعاً بالخمر، ورأى في الحلم الكعبة المشرفة

ورأى نفســـه بملابس الإحرام. وعندما استيقظ في الفجر تراءَى له منظر الحجاج يلبون وهم يغادرون ميناء عنابة، ودون وعي ردد بأعلى صوته: لبيك لبيك.

كان ذلـــك في آخر يوم قبل إقلاع باخـــرة الحجاج، وأنَّى له أن يلحق بها وهو لا يملك شيئاً، فوق أنه لم يستخرج جواز سفر؟ في نهاية اليوم كان إبراهيم قد أكمل كل الاســـتعدادات للسفر بمساعدة عمه ومعارفه الذين تحمسوا لهذا التحول المفاجئ. وعندما وضع إبراهيم رجله على المركب شـــعر بأنه يتخطى عتبة عالم جديد، وفي تلك اللحظة ســـمع طفلاً يناديه من بعيد: يا أبو قرعة يا أبو قرعـــة! هكذا كان الأطفال ينادونه مســـتهزئين به. لما التفت إلى مصدر الصوت، ســـأله الطفل بفضول: يا أبـــو قرعة وأنت أيضاً ستذهب إلى الحج؟

في تلك اللحظـــة كان ذلك الطفل حافي القدمين ذو الســـروال القصير يضمر شـــيئاً في نفســـه، أن يذهب هـــو الآخر إلى الحج، فتســـلل بحبل يتدلى من الســـفينة إلى الماء واختبأ بالمخزن داخل المركـــب وعزم على ألا يخـــرج من هناك إلا عندمـــا يصل المركب، ولكنه اضطر للخـــروج عندما أنهكه الجوع.تذكر الفتى كيف أنه قضى ســـحابة نهاره في حمل أمتعة الحجاج بالميناء، وعندما أوى إلى رواق الحمام لكي ينام تبادل الحديث مع زملائه: لولا البحر لكان بإمكاننا الذهاب إلى مكة على أقدامنا. ووجد نفســـه بعد قليل يتراهن مع أصحابه أنه سيسافر إلى الحج.

عُـــرض الفتى (هادي) على قبطان الباخـــرة، فحكم عليه بالعمل داخل المطبخ حتى تعود الســـفينة إلى الجزائر. غير أن أحلام حاجٍ صغير من بونة ظلت تلح على هذا الطفل.

هـــادي الذي لم يكن يعـــرف كيف يتوضأ تبعَ مـــا يفعله الآخرون وتعلم الوضوء. إنه أمر سهل، وكذلك الصلاة ما عليك إلا أن تفعل ما يفعل الآخرون. لم يكن الطفل المتشـــرد هادي يعرف شيئاً من قراءة الصلاة، فظل يردد التكبير، غير أنه شعر في قرارة نفسه أنه

ينجز أول شيء جدِّي في حياته.
ذلك الفتى بعد أن لبس ملابس الإحرام التفت لإبراهيم يسأله بنبرة مازحة: لو تنفك عقدة هذا الشيخ فهل نراه عارياً؟ ويرد عليه إبراهيم رداً صاعقاً جعل هادي يبقى مذهولاً: لقد خُلقنا كلنا عراة وسنمثل عراة يوم الحشر!
لقد أتم إبراهيم الحج والزيارة وبقي بالمدينة المنورة وافتتح مقهى، وبقي معه هادي الذي أصبح بمثابة ولده.

في الإحرام

وفي موضوع الإحرام عرض الكتاب طرائف مشوقة؛ نعرض بعضًا منها:
• نقلت وكالة الأنباء السعودية عن رئيس اللجنة الإعلامية للتوعية الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في الحج، أن حاجاً يسأل إن كان يتوجب عليه تغطية وجهه أثناء الحج لأنه يُحج عن أمه؟
• وحاج سوداني يرفض التجرد من ملابسه في الإحرام:
حاج سوداني رفض عند الإحرام أن يتجرَّد من قطعة في ملابسه الداخلية، فحضر إليه أحد المرشدين يحاول إقناعه بأن الإحرام فاسد ما لم يتجرد من المخيط، لكنه أصرَّ الحاج في الإحرام على البقاء في ملابسه، ولم يقتنع إلا بعد حوار طويل.
وفي موضوع الطواف والسعي يعرض لنا الكاتب بعض المواقف الطريفة:

حاج يطوف النهار كله

• استمر حاج في الطواف من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر ظناً منه أن الطائفين يبدأون الطواف معاً وينتهون معاً. وأبدى هذا الحاج استغرابه أنه تعب من الطواف مع أنه في عنفوان شبابه وبقية الحجاج لم يتعبوا وفيهم كبار السن!

أعرابي طلق امرأته لوجه الله

• جاء في (جمع الجواهر) لأبي إسحق الحصري أن أعرابياً رأى الناس بمكة وكل واحد يتصدق ويعتق ما أمكنه. فقال: يا رب، أنت تعلم أنه لا مال لي، وأشهدك أن امرأتي طالقٌ لوجهك يا أرحم الراحمين!

سعَى مرتين

• ويحدث أن يأتي بعض الحجاج أو المعتمرين بالسعي بين الصفا والمروة أربعة عشر شوطاً؛ يجعلون البدء من الصفا والانتهاء إلى المروة ثم الرد منها إلى الصفا شوطاً واحداً.
• والحافظ ابن حزم لما لم يحج قال: إن (الطواف) بين الصفا والمروة أربعة عشر شوطًا، ورد عليه الشيخ ابن جبرين: «ويكون السعي سبعة أشواطٍ من الصفا إلى المروة شوط، ثم من المروة إلى الصفا شوط ... لكن ذهب ابن حزم كما في كتبه! إلى أن الصفا يُبدأ بها ويُنتهي بها. أي أن من الصفا إلى الصفا شوط فهو يعد الشوطين شوطاً واحداً لأنه لم يتيسر له الحج، وتخيل أن السعي هو الاستدارة، وأن الصفا والمروة ليستا متقابلتين، بل بينهما دائرة فتخيل أن الصفا مثل الحجر وأن المروة مثل الحجر وأن بينهما شيءٌ يُستدار حوله».

الوقوف بعرفة

• يُروى أن حاجًا كان يجلس في المسجد الحرام لابساً ثيابه يوم عرفة، ولما سئل لماذا لم يذهب مع الحجاج إلى عرفة؟ قال: أنا أتممت الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة قبل أسبوع، وقضيت حجِّي والحمد لله!
• يقول المؤلف: وسمعت من الأستاذ الدكتور محمد غالب عبد الرحمن الأستاذ في جامعة أم درمان الإسلامية أنهم أثناء وجودهم في منى، انفصل عنهم أحد رفقائهم بالحج قبل الصعود إلى عرفة، ولما أعياه البحث عن جماعته، استقل سيارة وعاد إلى مكة ثم انصرف عائداً إلى جدة.
يحصل هذا من بعض بسطاء الحجاج حين يضلُّون الطريق عن مخيماتهم أو بعثاتهم، وبدلاً عن الاتصال بأقرب شرطي أو بالمتطوعين من الشباب لمساعدتهم، يعودون إلى مكة أو جدة، ويفوتهم الوقوف بعرفة، وهو ركن الحج الأعظم.
قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة» (متفق عليه).
ويبتدئ الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة، والانصراف منها إلى مزدلفة بعد غروب الشمس.
وحصل أن حاجًا اتصل بمطوِّفه ليلة عرفة يطلب تسلم جواز سفره حتى يتمكن من العودة سريعاً لبلده. وكان قد دخل في نسك الحج محرماً، ومع ذلك كان يلحُّ على النكوص من نسكه لأن مكتبه اتصل به للتوقيع على صفقة تجارية مهمة، وأن هذه الصفقة التي انتظرها طويلاً سوف تفوته لو لم يصل إلى بلده في وقت مناسب.
قيل للرجل: هذا امتحان لإيمانك والتزامك، والعلماء متفقون على أن الشروع في الحج والعمرة ملزم، ولا يجوز النكوص لمن أحرم إلا في حال إحصار.
قال: أليس هذا عذرًا شرعيًا؟
قالوا: الحكم الشرعي واضح، وأنت تفاضل بين صفقة بينك وبين الله تعالى أنت تاركها لتذهب إلى صفقة دنيا.
قال: لكنها صفقة العمر بملايين الدولارات.
قالوا له: بل الحج هو الصفقة الأهم، ولعل الله يكتب لك توفيقاً في صفقاتك الأخرى جزاء التزامك وطاعتك، فإن تركت صفقتك هذه من أجل الله فإنه تعالى يكرمك بأفضل منها.
وأخيرًا اقتنع الرجل بأن يصعد إلى عرفة ويرجع في اليوم التالي إلى بلده، وبذلك يكون قد فرغ من حجِّه في يوم واحد! وأوكل في الرمي أحد رفقاء رحلته.

واقف على رجليه نهار عرفة

• وهذا حاج ظل واقفًا على رجليه من الصباح حتى أدركه المساء في عرفة، فسألوه عن ذلك، فقال: أليس اسمه الوقوف بعرفة؟!

من طرائف الأَعْراب

• استلقى أحد الأعراب على ظهره في يوم عرفة، ثم قال: اللهم كما هديتنا للإسلام من غير أن ندعوك، فأدخلنا الجنة من غير أن ندعوك.

أما بالنسبة لرمي الجمرات، فقد عرض لنا الكاتب بعض القصص منها:

• ذكر الشيخ سعد الغنام في شريط (فيديو) أن أحد الحجاج سأله عقب رمي الجمرات عن حكم الرمي عن العجزة وكبار السن في حال توكيلهم شخصًا آخر لأن معه أربع نساء كبيرات ويريد أن يرمي عنهن، فكانت الإجابة إن الرمي جائز، فرد عليه الرجل: لكنها عملية شاقة جداً، أن يذهب للرمي ثم يعود إلى الخيمة ويكرر ذلك خمس مرات!

ظن الرجل أن لكل رميةٍ مشيٌ مستقل إلى الجمرات، والمسافة بين خيمته والجمرات نحو ثلاث كيلومترات، وأن عليه أن ينجز ذلك قبل الزوال!

لماذا لا يحصل الزحام في الجمرات إذا كان بعض الحجاج يفكر بهذه الطريقة؟!

حاج ماليزي يعيد حجر جمرات بالبريد

• أعاد حاج ماليزي حجراً صغيراً من بقايا الحصى التي رمى بها الجمرات، فقد اكتشف بعد وصوله إلى وطنه وجود هذا الحجر في حقيبته فاجتهد لإعادته مرة أخرى إلى مزدلفة، فأحضر علبة زجاج صغيرة ذات قيمة ونظَّف الحجر وعطَّره ووضعه داخل العلبة ثم كتب رسالة إلى مدير بريد العاصمة المقدسة وأرفقها بمبلغ ١٠ ريالات وطلب من مدير البريد أن يدفعها لسائق سيارة أجرة لإعادة الحجر إلى مكانه. وقام مدير بريد العاصمة المقدسة عبد المحسن الردادي بإيصال الأمانة «الحجر» إلى مزدلفة بنفسه، وكتب رسالة بذلك للحاج وأعاد إليه الريالات العشرة ومعها مصحف ومسبحة. وتبيَّن أن الحاج كان مهتمًا بالحجر لدرجة أنه وضعه داخل زجاج ثمين بعد أن قام بتنظيفه من الأتربة ومسحه بعطر ذي رائحة زكية.

الحلق أو التقصير

المشير سوار الذهب يحلق لأحد الحجاج

• هذه طريفة عن المشير عبد الرحمن حسن سوار الذهب ننشرها بعد الاستئذان منه، فهي قصة وقعت له في الحج. فبعد أن أكمل المشير السعي قام إليه الوزير عوض الجاز الذي كان معه فحلق له رأسه، ثم قام المشير فحلق للوزير رأسه، وفور انتهائه من الحلق أقبل أحد الحجاج المصريين يطلب منه أن يحلق له رأسه، فأجلسه المشير وحلق له، ولما فرغ تناول الحاج المصري عشر ريالات وقدمها إلى المشير سوار الذهب، فلما اعتذر المشير عن عدم أخذ المبلغ ألحَّ عليه الرجل بأن يأخذ أجرته، عندئذ قال الوزير الجاز للحاج المصري: هل تعرف هذا الذي حلق لك رأسك؟ إنه المشير عبد الرحمن سوار الذهب الرئيس الأسبق لجمهورية السودان، عندئذ صاح الرجل: يا خبر أبيض!

حَلَق للنساء

• وهذا حاج يحلق شعر نسائه عقب انتهاء السعي، توهمًا منه أن الحلق للنساء أيضًا، مع أن الحديث الصحيح يقول: «الحلق للرجال والتقصير للنساء».

مظاهر سلبية

• من الثابت أن الحجاج يكونون عرضة للتوهان بل الموت بسبب الفوضى وعدم اتباع التوجيهات والنظم، ويتفاوت الحجاج في ذلك بحسب التدريب الذي نالوه أو ثقافة النظام التي نشأوا عليها. وقد نرى الحجاج الماليزيين والإندونيسيين مثالاً في إتباع النظام لما عُرفوا به من التدريب قبل حضورهم (بَين عديدِ الحجاج الذين قضوا في تدافع حج عام ١٤٣٦هـ، كان هناك ماليزي واحد، قيل إنه خرج من المخيم لتناول كوب من الشاي). أما الحجاج الذين نالوا أقل قدر من التوعية والتدريب في بلادهم فهم أكثر عرضة للأخطاء والمظاهر السلوكية المنافية لبيئة الحج ولحرمة المكان والزمان.

حجاج السودان بدأت تدبُّ فيهم روح النظام في السنوات الأخيرة، وقد كانوا أشد الحجاج بُعداً من التقيد بالنظام.

الحج السياحي

• تدل البحوث الإحصائية في معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة على أن نسبة كبيرة من الحجاج لا تكتفي بحجة الفريضة وتكرر حج النافلة.

يقول أحدهم إنه رأى في بعض مساكن الحجاج بالمشاعر المقدسة تجهيزات (ساونا) وخدمات فندقية بمستوى خمس نجوم. ما الداعي لذلك؟ قال الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين في ندوة الحج الكبرى إن من مقاصد الحج التدريب على التواضع وممارسة نوعٍ من التقشف والتحرر من روتين الحياة العادية.

وإلى جماعة الحج السياحي هؤلاء، نُهدي هذه القصة:

• خرج عبد الله بن المبارك مرَّة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد، فمات طائرٌ معهم، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه وتخلَّف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جاريةٌ قد خرجتْ من دار قريبة منها، فأخذتْ ذلك الطائر الميت، ثم لفَّتْه، ثم أسرعتْ به إلى الدار، فجاء فسألها عن أمرها وأَخْذِها الميتة، فقالت: ذلك أنا وأخي هنا ليس لنا شيءٍ إلا هذا الإزار، وليس لنا قوتٌ إلا ما يُلقى على هذه المزبلة، وقد حلَّت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال، فظُلِم وأخذ ماله وقُتل، فأمر ابن المبارك بردِّ الأحمال وقال لوكيله: كم معك من الفضة؟ قال: ألف دينار، فقال: عُدَّ منها عشرين دينارًا تكفينا إلى مرو وأعطها الباقي؛ فهذا أفضل من حجِّنا في

هذا العام، ثم رجع.
لاشك أن تكرار الحج أو العمرة أمر مستحب وأداؤهما عمل خير. لكن عندما ترتفع البطالة في العالم الإسلامي بنسب مهولة، فهذا أمرٌ جلل، لأن مستقبل الأمة في خطر ومن ثمَّ يجب على الأغنياء محبي تكرار الحج والعمرة، وهواة الحج تلو الآخر، إن شاءوا فتحوا أعينهم على أبواب الخير العديدة والحيوية إتباعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجةٍ أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضىً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوءَ الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسلَ» (أخرجه الطبراني، وحسَّنه الألباني).

الصحة والمرض

نزلة الحج

يقول بعض حجاج السودان فيما يشبه المزاح إن من علامات القبول إصابة الحاج بـ (نزلة الحج) ، وهي أمراض الزكام والشُعب التنفسية! وهذا الكلام بالطبع ليس له أصل.
سألت أحد الأخوة الأطباء: هل يمكن تجنب (نزلة الحج)؟ فقال لي: ليس من الممكن تجنبها ولكن يمكن التخفيف منها بإذن الله في حالة الإصابة، فمثلاً المسنون وحاملو الأمراض المزمنة يُنصحون بأخذ تحصين من الفيروسات، ومن المفيد أخذ فيتامين (C) طيلة فترة الحج.

عن لُقَطة الحرم

من ترك أمراً لله عوَّضه الله خيرًا منه.

لا شك أن الحج والعمرة سبب في غنى الحاج والمعتمر حقيقة أو حكماً، وهذا من المشهور في نواحي إفريقيا.
عن عَبْد اللَّه بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قالَ : قَال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسَلَّمَ:
« تَابِعُوا بَيْن الْحَجِّ وَالْعُمْرة، فإنَّهُمَا يَنْفِيَان الفَقْرَ وَالذُّنوبَ، كَما يَنْفي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَب وَالْفِضَّة، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إلَّا الْجَنَّةُ». رواه الترمذي وقال حسن صحيح.
ربما أن المثل السائر عند السودانيين «جينا لمكة تغنينا قلَّعت طواقينا» هو تحوُّل من المثل المشهور «جينا لمصر تغنينا، مصر بيَّعتنا طواقينا».
وقد يكون أحد حجاج السودان عمل بالتجارة وحَلَم بأن يكون من الأغنياء ولكن بارت تجارته فأصيب بخيبة الأمل حتى إنه انتزع طاقيته من رأسه لبيعها وشراء ما يلزمه من طعام وغيره.
ويكون أداءُ الفريضة لكثير من الحجاج سببًا وفتحًا لأبواب رزق كانت موصدة، أو بناء علاقات جديدة.

الموت في الأرض الشريفة

مشقات الحج قديمًا

كانت رحلة الحج في العصور الماضية ـ كما أسلفنا ـ محفوفة بمخاطر كثيرة، في البر والبحر وفي الغابات والجبال... وبين قبائل تتناوشها الحروب والفتن، ولذلك كانت تقام الاحتفالات المؤثرة، يجتمع لها الأقرباء لوداع الحاج ظنًا منهم أنهم يودعونه الوداع الأخير.

• نقرأ في رحلة ابن جبير الأندلسي في عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م كيف أن طريق الشام كان مغلقاً بسبب الحروب الصليبية، فاضطروا إلى ركوب البحر من ميناء عيذاب على البحر الأحمر، ويصف (الجُلاَّب) المراكب التي أقلتهم إلى جدة، وكيف كانت تتعرض لأنواء البحر، فيهلك الكثير من الحجاج غرقاً، حتى إن البحارة يقولون للحجاج: «علينا بالألواح وعليكم بالأرواح». ويذكر ابن جبير عن مركب جَنَحت به الرياح فلم يعبر البحر بل وجد الحجاج أنفسهم في مدينة سواكن، وفاتَهم الحج في تلك السنة وبقُوا على إحرامهم للعامل المقبل بعد أن أفتى لهم بذلك مفتي المالكية في القاهرة.

أول حاج ياباني

• وهذا أول حاج من اليابان واسمه (تاناكا إيبيه) يحكي قصة حجِّه مع الحجاج الصينيين الذين بلغ عددهم ٥٩ حاجاً، في عام ١٩٢٤م. وقد وصف معاناة كبيرة في السفر بالباخرة حتى وصوله إلى جدة، ثم الطريق إلى مكة على (الشقدف). لم يعد سالماً من هذا العدد سوى ٢٨ حاجاً، مات أكثر من نصفهم بسبب الإرهاق والمرض.
وهذه مجرد أمثلة لصور المعاناة التي استمرت حتى بزوغ فجر الدولة السعودية التي أمَّنت الطرق ويسَّرت السبل بعون من الله وفضل.

متفرقات

جاء في كتاب خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام!
• (شذور الأمالي للقالي) عن أبي زيد قال: بينا أنا في المسجد الحرام إذ وقف علينا أعرابي فقال يا مسلمون إن الحمد لله، والصلاة على نبيه، إني امرؤٌ من أهل هذا الملطاط الشرقي المواصي، أسياف تهامة عكَفت عليَّ سنون محش فاجتبت الذرى وهشمت العرى، وجمشت النجم وأعجت البهم، وهمت الشحم والتحبت اللحم وأحجنت العظم، وغادرت التراب موراً والماء غوراً، والناس أوزاعاً والنبط قعاعاً، والضهل جزاعاً والمقام جعجاعاً، يصبحنا الهاوي ويطرقنا العاوي، فخرجت لا أتلفع بوصيدة ولا أتفوت هبيدة، فالبخصات وقعة والركبات زلعة والأطراف قفعة، والجسم مسلهم والنظر مدرهم، أعشو فأغطش وأضحي فأخفش، أسهل ظالعاً وأحزن راكعاً... فهل من آمر بمير، أو داعٍ بخير؟ وقاكم

الله سطوة القادر وملكة الكاهر، وسوء الموارد وفضوح المصادر، قال فأعطيته دينارا وكتبت كلامه واستفسرته ما لم أعرفه!

شرب زمزم

جاء في رحلة الفقيه دنية الرباطي للحج أن الشيخ ابن عرفة سُئِل: لِمَ كان زمزم أفضل المياه وهو مع ذلك غير مستعذب؟ فأجاب على البديهة بقوله: ليكون شربه تعبدًا لا تلذذًا.

زمزم لما شُرب له

• قال ابن العربي في أحكام القرآن: «النبي صلى الله عليه وسلم قال: ماء زمزم لما شرب له ـ وأخبر النبي بأن هذا موجود فيه إلى يومه ذلك، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، لمن صحت نيته وسلمت طويته، ولم يكن به مكذبًا ولا شربه مجربًا، فإن الله مع المتوكلين وهو يفضح المجربين، ولقد كنت بمكة مقيمًا، وكنت أشرب ماء زمزم كثيرًا وكلما شربته نويت به العلم والإيمان، حتى فتح الله لي بركته في المقدار الذي يسره لي من العلم، ونسيت أن أشربه للعمل، ويا ليتني شربته لهما حتى يفتح الله علي فيهما».

التضلُّع من ماء زمزم

• التضلع من ماء زمزم معناه أن تكثر من الشرب منه وأصله أن يشرب حتى يمتلئ الجوف ويصل إلى الأضلاع!

في غار حراء

• رافق مقيِّد هذه الطرائف أسرةً أمريكية مترجماً لهم في الحج. ولما فرغوا من الحج، أرادت هذه الأسرة أن تصعد إلى غار حراء.
والصعود إلى قمة جبل النور نزهةٌ فريدة، قال عنها الأديب المصري عباس محمود العقاد: «أما الجديد كل الجدة على النظر وعلى النفس فهو غار حراء... والحق أننا قرأنا ما قرأنا عن الجبل وعن الغار، ثم نظرنا إليهما، فعلِمنا أن القراءة قد تركت الكثير من فراغ النفس لتملأه هذه النظرة العابرة في الطريق».
المهم أن أفراد الأسرة الأمريكية صعدوا الجبل وبلغوا قمته عند الغار، وحينئذٍ تنفس الصُّعَداء طفلٌ من أطفال هذه الأسرة، والتفت إلى أمه يقول لها: ماما ماما، كيف استطاع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يرفع ثلاجته إلى هذا المكان؟

وداع البيت

• طواف الوداع أحد واجبات الحج عند جمهور الفقهاء، ويَكثر السؤال عن حكم المَكثِ في مكة عقب أداء الطواف.
• سأل أحدهم الشيخ عبد الله المطلق في برنامج تلفزيوني أنه بعد أداء طواف الوداع صلى ركعات وأفطر بمطعم حول الحرم وأخذ بعض الأغراض ثم سافر إلى جدة، والناس أنكروا عليه وقالوا له لماذا جلس بعد الوداع في مكة؟ أجاب الشيخ المطلق قائلاً: «أبَدَاً يا أخي، صلاتك مقبولة وفطورك مبارك وإن شاء الله [مقاضي

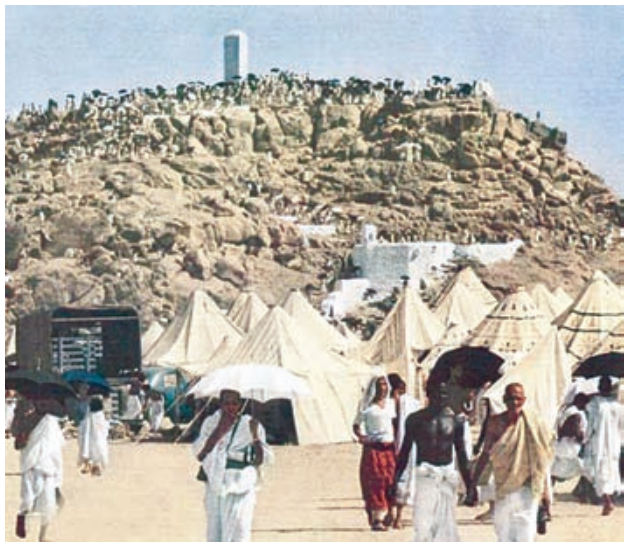

سنعة] لأم العيال... الوداع معناه التهيؤ للرحيل، حتى لو احتجت ترقد. كان الأولين بعدما يوادعون يرقدون ما يعرفوا متى يمشون، ويرقدون في الأبطح، وإذا شبُّوا ضويتهم الأولين وصلحوا القرص وشربوا القهوة ثم مشوا. ليس معناه أنك وادعت ما تلتفت. الناس تشدد بعضها على بعض».

أثر الحج في تزكية النفوس

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه» وفي رواية له أيضًا: «من حج هذا البيت فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»، وعند مسلم نحوه.
• يتندر الشاعر محمد إقبال على الحجاج الذين يعودون من الحج وقد حملوا معهم فقط ماء زمزم وتَمْر الحجاز، وكان يجب عليهم أن يعودوا حاملين هدايا أخرى؛ التقوى والطهر.
ويتوقع الناس ممن أدى فريضة الحج أن يبقى على التقوى والطهر والأخلاق الفاضلة، وقد يستغربون حين يرون حاجًا لا يكون على الأخلاق الدينية.
• مما حكاه لسان الدين بن الخطيب في كتابه (نُفاضة الجراب في علالة الاغتراب) أنه نزل ضيفًا على أحد الشيوخ الذين أدَّوا الحج، وكان ينتظر منه الترحاب وحسن الاستقبال، غير أن الحاج لم يكن كريمًا معه، يقول: انزوى عنا الشيخ أبو العباس للَهوِه، وشحَّ بإيناسه وتردده، فخاطبه بهذا البيت:

إذا لم تهذبك الأبوة والحجُّ
فأنت على فوت الجنى ثمر فجُّ

لا شك أن الحجيج الذين وفقهم الله، يرجعون وقد غفر الله لهم خطاياهم، فهم أحرى بالالتزام بالأخلاق الحسنة والحرص على الصفات الحميدة.

سؤال القيم في الشريعة الإسلامية

«مداخل منهجية»

الدكتور محمد الصادقي العماري

المدخل:

جاءت الشريعة الإسلامية رسالة هداية للمجتمع البشري، رسالة هداية الخلق إلى المصالح، ودفع المفاسد، في العاجل والاجل، لذلك فلا نبالغ إذا قلنا أن الشريعة الإسلامية شريعة أخلاقية، لأنه لا معنى لجلب المصلحة ودفع المفسدة إلا الهداية للقيم والأخلاق الفاضلة، المحققة لهذه المصالح والمنافع، فثبت بذلك أن موضوع القيم الأخلاقية قضية مركزية في الشريعة الإسلامية.

لكن موضوع القيم الأخلاقية كغيره من المواضيع الإنسانية، كثر حوله الاختلاف وتعددت الآراء في معالجته، لكننا في هذه الورقة نقدم وجهة نظر شرعية، تعتمد على مداخل منهجية تحاول الإجابة عن سؤال القيم في الشريعة الإسلامية، وهذه المداخل حسب وجهة نظرنا هي:

المدخل المنهجي الأول: مفهوم القيم.

المدخل المنهجي الثاني: مصادر القيم.

المدخل المنهجي الثالث: خصائص القيم.

المدخل المنهجي الرابع: مقاصد القيم.

المدخل المنهجي الأول: مفهوم القيم:

لفظ القيمة مرتبط بمادة:(قَوَمَ) والتي استعملت في اللغة لإفادة عدة معان ومنها: ثمن الشيء وقيمته، الاستقامة والاعتدال، التمسك بالشيء والثبات عليه.

وهذه المعاني اللغوية الثلاث التي اخترتها أعتقد أنها أقرب المعاني اللغوية لدلالات لفظ «القيمة»، وإن كان المعنى الأول أقواها وأقربها، لأن كون الشيء له قيمة يعني أن ذلك الشيء يحقق الخير والنفع والصلاح، وهي صفات ذاتية لهذا الشيء، وقيمة الشيء تحدد بما يحققه هذا الشيء من منفعة للإنسان.

والقيمة في الاصطلاح تعني: «ما قُوِّمَ به الشيء بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان»، وبذلك لا يختلف المعنى اللغوي الذي رجحناه لمعنى القيمة عن هذا المعنى الاصطلاحي، وهو قيمة الشيء وثمنه، فهي إذا صفات للأشياء، يتحلى بها الإنسان متى كان فيها نفع وصلاح، ويتخلى عنها ويجتنبها متى كان فيها فساد وضرر، وهذا ما يؤكده الدكتور طه عبد الرحمن بقوله: «القيم هي جملة المقاصد التي يسعى القوم إلى إحقاقها متى كان فيها صلاحهم، عاجلا أو آجلا، أو إلى إزهاقها متى كان فيها فسادهم، عاجلا أو آجلا».

المدخل المنهجي الثاني: مصادر القيم:

المصدر الأول: أسماء الله تعالى وصفاته:

والمقصود التخلق بالقيم التي تدل عليها أسماء الله تعالى وصفاته، وليس المقصود أن يتسمى الإنسان بتلك الأسماء والصفات، مثل: الرحمة، والعفو، والصفح، والحلم، والشكر، والعلم ... وغيرها مما يسميه العلماء بـ «أسماء التخلق»، ويقابلها «أسماء التعلق»، وهي التي انفرد الله تعالى بها، فلا يدعى بها غيره، مثل: اسم الجلالة «الله»، والظاهر، والباطن، والأول والآخر، والحي القيوم ... ومن صفات الله المتكبر الجبار، وهو سبحانه ينهى عن التكبر والتجبر على الخلق، فهي صفة خاصة به سبحانه.

الله تعالى هو المثل الأعلى للخلق، فهو خالقهم، وهو ربهم الذي دعاهم إلى كل قيمة فاضلة، وكل خلق كريم، فكانت

أسماؤه وصفاته مصدرا من مصادر هذه القيم، فإن الله تعالى عالم، ودعا الخلق إلى طلب العلم ونهى عن الجهل، وهو سبحانه الحليم ودعا الخلق إلى الحلم والصبر، وهو سبحانه يحب الصابرين، وقد وصف الله تعالى ذاته بالرحيم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة:١٤٣)، وهو سبحانه العادل، ودعا الخلق إلى قيمة العدل، ونهى عن الظلم وحرمه على نفسه، وجعله محرما بين خلقه.

المصدر الثاني: الأنبياء والرسل:

الأنبياء والرسل أكثر الناس تخلقا بالقيم الفاضلة، وأكثرهم تمثلا لأخلاق الله تعالى التي تدل عليها صفاته، وقال تعالى عن اتصاف سيدنا إبراهيم بقيمة الحلم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود:٧٥)، ووصف القرآن الكريم سيدنا نوح وموسى عليهما السلام بأنهما من الشاكرين قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء:٢-٣).

وقال تعالى في وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، ووصفه بالخلق العظيم قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، وقالت أمنا عائشة رضي الله عنها، عنه صلى الله عليه وسلم: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ».

فإن الأنبياء والرسل قدوة البشرية إلى الخير والصلاح، وأكملهم خلقا، فهم المصدر الثاني من مصادر القيم الفاضلة، فلا طريق للخلق في التخلق سواهم، وخصوصا خاتمهم، الذي أكمل الله الدين برسالته، محمد صلى الله عليه وسلم.

المصدر الثالث: الوحي

١- الشرائع السماوية السابقة:

الشرائع السماوية السابقة مصدر للقيم الإنسانية، فإن الإنسان مطالب بالإيمان بها، والإيمان بالرسل كلهم، والمسلمون يؤمنون بكل الرسل والأنبياء قال تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾(البقرة:١٨٥)، من غير تفريق بينهم، أو الكفر ببعضهم.

ووصف الخطاب القرآني الرسائل السماوية بأنها نور وهدى للبشرية، والنبوة هي طريق تبليغ هذا الهدى الرباني للخلق يقول تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة:١٥-١٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾(المائدة:٤٤)، وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾(المائدة:٤٦) فوصف الهدى والنور، دليل إرشاد الشرائع السابقة إلى الخير والسعادة والصلاح.

وقد ذهب الأصوليون إلى أن «شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخه شرعنا»، وهذا يدل على سماحة الإسلام، وإيمانه بالاختلاف بين الشرائع، وهذا انفتاح من الإسلام على الشرائع الأخرى وأخذه بالقيم السامية التي لا تتناقض وتوجيهات الإسلام.

٢- الشريعة الإسلامية:

والمقصود هو كل ما جاء في الإسلام من شرائع وأحكام، فإن المقصود الأول من رسالة الإسلام هو «الاستقامة الإنسانية»، ومساعدة الإنسان على حسن الاستخلاف، وإعمار الأرض، ولا يقوم الإنسان بوظيفته في الكون أحسن قيام إلا وفق منهج الله تعالى.

وركزت الشريعة الإسلامية في تربية الإنسان وتخلقه بالقيم الأخلاقية على معلمين كبيرين: الأول: تزكية النفس الإنسانية، والثاني: مطابقة الظاهر للباطن.

٢-١- تزكية النفس الإنسانية:

والمدخل الحقيقي لإصلاح المجتمع الإنساني هو إصلاح الإنسان نفسه، ولا يتم ذلك إلا بتزكية نفسه، وإذا كان الخطاب القرآني دعا إلى تزكية النفس، فإنه جعل لذلك مدخلا أساسيا، لا تتحقق تزكية النفس بدونه وهو ما شرعه من عبادات، وأحكام تشريعية، من أجل بناء مجتمع متحضر، يقول ابن عاشور: «تزكية النفس أهم ما دعا إليه الإسلام وذلك هو قسم العبادات، فالعبادات لها خصوصية تزكية النفس .. حتى يصير الخير لها سجية».

وبين القرآن الكريم أثر العبادات في تزكية النفس الإنسانية، قال تعالى في أثر الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(العنكبوت:٤٥)، وقال تعالى في أثر الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾(التوبة:١٠٣) .. فإن الالتزام بأحكام الشرع عموما، وما جاء به من عبادات، يزكي النفس البشرية.

٢-٢- مطابقة الظاهر للباطن:

والعبادات في الإسلام لا تؤدي دورها في تزكية النفس

وتطهيرها إلا إذا روعي في آدائها المعاني الباطنة، ومرافقة العمل الظاهر للباطن، وإلى هذا أشار الخطاب القرآني في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(البقرة:١٧٧)، فالخطاب القرآني ينبه إلى أن البر الذي هو اسم جامع لكل الخصال والقيم الحميدة، ليس مظاهر فقط، بتولية الوجه قبل المشرق والمغرب، بل هو تكامل بين الظاهر والباطن.

ويقول الشاطبي في تأكيد هذا المعنى: «الأعمال الظاهرة في الشرع دليل على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منخرمًا، حكم على الباطن بذلك، أو مستقيما، حكم على الباطن بذلك أيضا، وهو أصل عام في الفقه».

المصدر الرابع: الفطرة الإنسانية:

ومما يدل على أن الفطرة الإنسانية مصدر للقيم الأخلاقية، وأن الفطرة ترشد الإنسان إلى القيم السليمة والصحيحة، أن هناك من المشركين من كان لا يشرب الخمر ويحرمها على نفسه، جاء في تفسير الرازي: «وعن العباس بْن مِرْدَاس أنه قيل له في الجاهلية: لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد في جراءتك؟ فقال ما أنا بآخذ جهلي بيدي فأدخله جوفي، ولا أرضى أن أصبحَ سيد قوم وأمسي سفيههم».

ومن أشهر وأقوى ما يدل على اعتبار الفطرة مصدرا من مصادر القيم الأخلاقية، حلف الفضول، وملخص قصته كما حكت ذلك كتب التاريخ، أن قبائل من قريش تعاهدوا وتعاقدوا على التعاون فيما بينهم، على أن لا يظلم بمكة أحد، سواء كان من سكانها أو من الواردين عليها، وأن يساندوا المظلوم حتى ترد له مظلمته، وسمي ذلك الحلف بحلف الفضول، فقد اتفق الموقعون على رد المظالم وإعانة المظلوم، وغيرها من القيم الإنسانية المشتركة.

المدخل المنهجي الثالث: خصائص القيم:

الخاصية الأولى: التدرج في التشريع:

والتدرج سنة الله تعالى في الخلق، فإن كل الظواهر الطبيعية والإنسانية قائمة على التدرج، فالإنسان خلقه الله تعالى بالتدرج، تدرج في الخلق داخل البطن: من نطفة ثم علقة ... إلى غير ذلك من أدوار خلق الجنين، ثم بعد الولادة تدرج بالانتقال من طور إلى طور ... والحق سبحانه راعى هذا التدرج التكويني في تشريع القيم المناسبة لكل طور تدريجي، فكان التدرج في التشريع خاصية من خاصيات القيم في نظرية القيم الإسلامية.

ولهذا التدرج القيمي مقاصد تشريعية هامة منها:

١- اليسر ورفع الحرج على الناس، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون: جاء التشريع القيمي بما يناسب كل طور من أطوار الإنسان الحياتية، فكانت «الاستطاعة» شرطا في التكليف قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾(البقرة:٢٨٦).

٢- التدرج في التربية على القيم: لأن تلقي القيم التربوية بشكل تدريجي، يراعي الفروقات الفردية للمتعلم، أو للإنسان عموما، يجعلها تستقر في نفسه، فيحفظها ويحافظ عليها، ويكون لها أثر عميق في نفسه، فالتدرج في التربية على القيم يساعد على استيعابها وممارستها، لأنه لو عرضت عليه قيم لا تناسب سنه، أو حالته النفسية والاجتماعية، لكان ذلك عبثا، والله تعالى منزه عن العبث، وقد أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥)، وفي هذا دلالة على اختلاف مستويات الخطاب، لاختلاف مستويات التصديق والإقناع عند المخاطبين يقول الغزالي: «واعلم أن المدعو إلى الله بالحكمة قوم، وبالموعظة قوم، وبالمجادلة قوم».

٣- ترتيب الكليات: حيث بدأ الخطاب المكي بالكليات العقدية، التي تناسب الواقع المكي، ثم لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، جاء الخطاب المدني بالكليات القيمية الكبرى المتعلقة بالتشريع، التي تناسب الواقع المدني، المتعلق ببناء الدولة، حيث يحتاج المجتمع إلى قيم سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وقيم العلاقات الدولية ... تخدم حاجات المجتمع في تلك المرحلة.

وخاصية التدرج تجعل الإنسان متهيئا نفسيا وعقليا، لتقبل هذه القيم، واستيعابها وفهم فلسفتها، وتنزيلها على الواقع بسهولة ويسر، من غير اضطراب ولا تكلف.

الخاصية الثانية: التوازن:

وخاصية التوازن خاصية عامة للتشريع القيمي الإسلامي، حيث جاء الإسلام بالرسالة الخاتمة، لا رسالة بعده، ولا نبي بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فجاءت هذه

الرسالة كاملة ومتوازنة تراعي كل الجوانب الإنسانية: الروحية والعقلية والجسدية، عكس الشرائع السابقة، حيث جاءت اليهودية تهتم بالجانب «المادي الأرضي الدنيوي»، وجاءت المسيحية كرد فعل لها حيث اهتمت بالجانب «الروحاني والمثالي الخالص».

قال تعالى في حق أمة الإسلام: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(البقرة:١٤٣) يقول رشيد رضا: «.. وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين: حق الروح، وحق الجسد، فهي روحانية جسمانية، وإن شئت قلت إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية، فإن الإنسان جسم وروح، حيوان وملك».

الخاصية الثالثة: قصد وجه الله تعالى:

بمعنى أن القيم الإسلامية لا تؤدي دورها التغييري بالنسبة للفرد ولا للمجتمع، إلا إذا كانت خالصة لوجه الله تعالى، لا يقصد بها غيره سبحانه، لأن هذه الخاصية من أهم خصائص القيم الإسلامية، فهي تجرد القيم من المنافع المادية، وهذا لا يعني أن القيم في الإسلام لا ترتبط بمنافع مادية، بل قد يكون القصد الأصلي هو إرادة وجه الله، والقصد التبعي إرادة بعض المنافع.

لكن نشدان العلو والسمو في منظومة القيم الإسلامية، يفرض على الخلق أن يكون القصد وجه الله، وأن يكون المبتغى الامتثال لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، لأن العبد يقصد رضا الله تعالى، بعيدا عن الرياء أو السمعة، أو غيرها من المنافع، يقول الغزالي في ذلك: «بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى، .. وإنما المطلوب الحق لذوي الألباب وجه الله تعالى فقط».

المدخل المنهجي الرابع: مقاصد القيم:

ربط الشرع بين القيم الأخلاقية وما تحققه من مصالح أو مفاسد، وفي ذلك إشارة تربوية إلى منهج الإسلام في ترسيخ القيم في النفوس، وإيقاظ الباعث الداخلي على تمثلها، والتحلي بالسامي منها، والتخلي عن الهابط منها. حث القرآن الكريم العقل الإنساني، ووجهه إلى القصد من الالتزام بالأخلاق والقيم الفاضلة، وهي تربية تقوي الباعث لدى الإنسان في الإقبال بقوة على القيم الأخلاقية، التي تحقق المصالح والمنافع، واجتناب الأخلاق التي توقع في المفاسد والمهالك.

والدليل على ذلك إشارات كثيرة في الخطاب القرآني نذكر منها:

قال تعالى في توجيه الزوجين حال النزاع إلى قيمة الصلح وأنه خير: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(النساء:٢٨)، وقال تعالى عقب الإرشاد إلى قيمة الاجتماع والألفة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾(النساء:٥٩)، وعقب الإرشاد إلى قيمة التقوى ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾(الأعراف:٢٦)، وعقب الإرشاد إلى قيمة الوزن بالقسط ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾(الإسراء:٣٥)، وعقب الحث على الإنفاق على ذوي القربى والمساكين وابن السبيل ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾، بمعنى أن كل هذه القيم والأخلاق الفاضلة، فيها خير ونفع للفرد والمجتمع .

وقال تعالى عقب الحث على قيمة الاستئذان قبل دخول البيوت ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾(النور:٢٨)، وقال تعالى في الإرشاد إلى المقصد من غض البصر وحفظ الفرج ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾(النور:٣٠).

وقال تعالى في سياق قصة قتل قابيل لهابيل﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة:٣١)، وقال تعالى بخصوص قوم صالح بعد عقرهم الناقة ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾(الشعراء:١٥٥-١٥٦)، وقال تعالى في سياق توجيه المؤمنين إلى قيمة التثبت في نقل الأخبار ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:٦)، وقال تعالى في سياق الحث على قيمة كتابة الدين وتوثيقه ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾(البقرة:٢٨٢).

فكل هذه الآيات وغيرها كثير في خطاب الوحي، تدل على أن الشارع يدعونا للالتزام بالقيم الفاضلة، عن طريق ذكر المقاصد والمنافع المترتبة عنها.

الخلاصات:

من خلال محاور هذه الدراسة يمكننا استخلاص ما يلي:

١- لفظ «القيم» لغة واصطلاحا متعدد الدلالات والمعاني، لكن ما يقابله في الفكر الإسلامي هو لفظ «الأخلاق».

٢- منهج الشريعة الإسلامية في تحديد مصادر القيم، منهج متنوع: التخلق بأخلاق الله، والتخلق بأخلاق النبوة، والتخلق بما جاء في الشرائع السابقة، وما جاء في الشريعة الخاتمة، والاسترشاد بالفطرة السليمة.

٣- القيم الأخلاقية الإسلامية تتميز بخصائص تميزها عن التشريعات الوضعية، فهي تشريع يراعي التدرج، ويراعي التوازن، ويراعي قصد وجه الله أصالة.

٤- مقاصد القيم وغاياتها هي الباعث الداخلي على امتثالها، أو اجتنابها، فإذا علم الإنسان ما في القيمة من مصالح أو مفاسد، كان ذلك عونا له على الاختيار عن بصيرة واقتناع.

زيارة إلى مركز التوحيد الإسلامي في

جنوب إفريقيا (٢/٢)

بقلم: د. محمد تاج العروسي

يعتبر مركز التوحيد من أشهر المراكز الدعوية التي ساهمت في نشر الإسلام في جنوب إفريقيا. تأسس عام ١٩٩٢م الموافق ١٤١٢هـ على يد أحد دعاة الرابطة، وهو الشيخ الدكتور عبد السلام بسيوني، الذي أسلم على يديه ما يقارب ١٥٠ ألف شخص خلال سبع وعشرين سنة.

يقع المركز في مدينة «أكر اسْمِيري» التي تبعد عن مدينة (لِنِيسِيَا) ١٨كم . وعن جوهانسبيرغ (٦٥) كيلومترًا تقريبًا. وهو المقر الرئيس للفروع التي تم إنشاؤها في عدد من المدن التي يسكنها الأفارقة، ومسجل رسميا لدى الجهات الرسمية. وله هيئة تأسيسية من العلماء ورجال الأعمال. ويحتوي على جامع كبير، وكُلِّية تقنية، فيها قسم للتجارة والحاسوب، والكهرباءً والسِّباكة واللحام، وكُلِّية عُلوم القرآن الكريم، وكلية الشريعة. وفيه مُجَمَّع بلال للمدارس، من الحضانة حتى الصف العاشر.

يقدم المركز خدمات اجتماعية وثقافية ودعوية، مثل عقد النكاح، ودفن الموتى، وإرسال قوافل دعوية وطبية، والرد على الشبهات، والمساهمة في تنمية المجتمع.

ولديه ستة عشر فرعا في المدن المختلفة وفي كل فرع مسجد، ومدرسة ابتدائية يتم فيها تدريسهم اللغة العربية، والفقه الميسر، والسيرة، والعقيدة، والحديث، والقرآن الكريم .

وهناك برنامج صحي واجتماعي للسيدات في الفترة الصباحية لتوعيتهم طرق وكيفية محاربة الأمراض المنتشرة في المجتمع، والحفاظ على الرضاعة الطبيعية.

ولها جهود كبيرة في إدخال عدد كبير من الأسر في دين الإسلام من خلال إعداد قسم داخلي لأطفال القرى والمناطق البعيدة، حيث يتم توفير الملابس والغذاء والعلاج المجاني لهم فترة وجودهم في المركز، والاهتمام بتحفيظهم القرآن الكريم، وتعليمهم المبادئ الإسلامية مع التربية على مكارم الأخلاق.

وقد زرت فرعا من هذه الفروع، فوجدت فيه عدداً من السيدات يشاركن في البرنامج الصحي الذي يعده المركز في الفترة الصباحية، وفيه عدد من الطلاب يدرسون القرآن والعلوم الشرعية، ولفت نظري وجود شجرة طويلة في فناء المركز، ويبدو عليها القِدَم، وسألت عن سر وجودها في هذا المكان، فأجابني الشيخ قائلا:

هذه المجموعة التي رأيتهم تحت هذه الشجرة الآن يعتبرون الجيل الثالث في هذا الحي. وقد بدأت الدعوة قبل سبع وعشرين سنة تحت هذه الشجرة التي لا تزال قائمة حتى الآن، حيث أقوم بجمع أولاد الحي وأغلبهم غير مسلمين وأعلمهم اللغة العربية، وأقدم لأسرهم المعونة المادية، وكلهم فقراء، وبقيت كذلك سنتين تحت تلك الشجرة أفترش التراب، وحولي أبناء هذا الحي صغارا وكبارا، وبين حين وآخر يدخل الإسلام عدد كبير منهم، وأحيانا الأسرة بأكملها، وبعد سنتين من بداية الدعوة حصلت على قطعة أرض وبنيت فيها مسجدا ومدرسة وسكنا للطلاب كما ترى.

وحافظت على هذه الشجرة؛ لأنها تذكرني بأحداث مرت عَلَيَّ في هذا الحي، حيث تعرضت للسرقة أكثر من مرة، واعتُدِيَ عَلَيَّ وأنا جالس تحت هذه الشجرة، وقد نصحني كثير من الأصدقاء بعدم البقاء في هذا الحي في بداية الأمر خوفا عَلَيَّ من أن أتعرض للقتل حيث كان الأَمْنُ معدوما تماما، وذات يوم رجعت في المساء إلى بيتي ووجدت زوجتي تبكي بكاء شديدا، ولما سألتها قالت لي: بأن عددا من صديقاتها أكّدن لها أن زوجك سوف يقتل إذا استقر في تلك المنطقة التي يعيش فيها السود الفقراء، وقلت لها: الموت حتم لا بد منه إذا جاء أجلي سأموت في أي مكان، فالموت في الدعوة أشرف لي من أن أموت على الفراش، فاقتنعَتْ برأيي واستقرينا في هذا المكان، ونحن الحمد لله نعيش حتى الآن بخير، وإن كنا قد تعرضنا لبعض المضايقات، ولكننا حققنا نجاحا

كبيـــرا. فمعظم الأحياء التي تراها يعيش فيها المســـلمون الآن، والمجموعة التي التقطت معهم الصورة تحت هذه الشجرة تعتبر الدفعة الثالثة من أبناء الحي نفســـه، فأجدادهم وجداتهم هم الذين دخلوا الإسلام في هذا المكان، وها نحن الآن نعلم أحفادهم.

وعندي قرابة ٢٠٠ مدرس وموظف أكثرهم ممن أســـلموا ودرسوا العلوم الشـــرعية في هـــذه المراكز، وبعضهم ذهـــب إلى القرى والمدن البعيدة وأســـلم على يديه الكثير، وهكذا انتشرت جهود هذا المركز في جميع مناطق البلد.

ومـــا يبين جهوده أن ملك « زولو» جمع حوالي ســـبعة آلاف من رؤساء الأديان في جنوب إفريقيا من بينهم الشيخ عبد السلام، وعندما ألقى كلمة بين فيها محاســـن الإسلام بدت على الملك علامة الفـــرح، وقال له: ســـمعت عن خدماتك ومســـتعد أن أعطيـــك قطعة أرض لتبني عليها المســـجد والمركز، وفي نهاية اللقاء قدم الشـــيخ للملك هدية (مشـــلح وغتره) وفرح الملك بذلك وأهداه جلـــد البقر، وهو أغلى ما يهـــدى للناس في ذلك البلد.

ويســـرد الشـــيخ حديثه قائلا: وقد نالت جهـــود مركز التوحيد كذلـــك قبولاً لدى العاملين في خدمـــة الدين في جنوب إفريقيا وخاصة رجـــال الدين والتجار ورؤســـاء الجامعـــات والمراكز، فقد تعاونوا معي بفكرهم ورأيهم، وســـاندوني بأموالهم، فَشُيِّدت هذه المراكز بأموال المحســـنين وأهل الخير منهم، كما أن المصاريف الشـــهرية للمركز وفروعه والتي تبلغ الآن إلى مليون وخمسين ألف رند، أي حوالي (٨٣) ألف دولار من التجار والمحســـنين في هذا البلد، ولولا ذلك لما تحقق هذا النجاح ونسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يرزقنا وإياهم القبول.

ويقول في آخـــر حديثه: الحاجة قائمة لإنشـــاء عدد من المراكز والمـــدارس وإعداد عددٍ كبير من أبناء البلـــد ليكونوا دعاة وعلماء ومصلحين ومربين، ولا يتحقق ذلك إلا بتوافر الجهود، وتعاون أهل الخير معنا ســـواء من داخل البلد، أو خارجه، والبلد مهيأ للعمل فيه بكل حرية، وهناك تسامح كبير لدى الأفارقة، فلا يُضايَقُ من يدخل الإسلام سواء من قِبل أسره وذويه أو المجتمع، كما أنه ليس هناك صعوبة في دعوتهم إلى الإسلام وإدخالهم فيه، وخاصة إذا كان الداعية من أبناء البلد نفسه، فيجد القبول بسهولة، وهذا سر نجاحنا في العمل الإسلامي . فقد أعددنا عددا كبيرا من أبناء البلد ووفرنا لهم فرص الدراسة وتعلم المهن التي تعينهم على الكسب، فكل من يتخرج عندنا يحمل شهادة في تخصص من التخصصات المطلوبة ويعمل في الدعوة إلى جانب العمل الذي يتكسب منه.

التعليم الجيد أداة لإيقاف التدهور

بقلم: الزبير مهداد

باحث وكاتب من المغرب

تواجه دول العالم الثالث تدهورا محيرا طويل المدى لمحصلة التنمية، متواصلا حتى العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين. وقد صدرت تقارير عدة من كثير من المؤسسات العلمية والهيئات الاقتصادية تنبه لمخاطر التدهور وتحصي مؤشراته. ومن بين التقارير الهامة، ذلك الذي أعده خالد محمود وصدر عام ٢٠١٥ عن مؤسسة تنمية الخبرات (مهارة) بالمملكة المتحدة سنة ٢٠١٥، تحت عنوان (الأولوية الحتمية لإيقاف التدهور)، وفي الورقة التالية نسلط الضوء على جوانب التدهور بعرض ما ورد في التقرير الهام.

الموارد البشرية

إن الدور البارز الذي يمكن أن يؤديه الإنسان في التنمية صار أكثر وضوحا منذ تأكيد التأثير الاقتصادي الكبير للمعرفة الإنسانية. إن دراسات اقتصادية كثيرة، أكدت أن الفرق الهائل في الإنتاجية الاقتصادية، يعود إلى التباين في الثروة البشرية التي تصوغها جودة التعليم والتدريب. فجزء كبير من فروق الإنتاجية بين الدول ينتج فعليا من التباينات في جودة الثروة البشرية التي يحددها التعليم.

فالأفراد كلهم يمتلكون قدرة فطرية لاكتساب الحد الأدنى من الثروة البشرية، فللعوامل البيئية الوراثية دور في صياغتها. إلا أن اكتساب مستوى أعلى من الثروة، يعتمد بصورة كبيرة على توافر ظروف مادية ومجتمعية مثل شروط الحياة السليمة، والتعليم الجيد، وأخرى إجرائية مثل السياسات الإدارية الحكيمة.

وفي حال غياب مثل هذه الظروف أو بعضها، فمن المتوقع أن يحرم الأفراد من فرصة اكتساب أو مراكمة المستويات اللازمة من الثروة البشرية، ما يجعلهم عاجزين عن تحقيق تقدم تنموي معتبر. والأخطر من ذلك، أن استمرار غياب الظروف، أو في ظل ظروف مناوئة، يؤدي إلى استنزاف الثروة، وإعاقة التنمية.

تعميم التعليم

إن التنمية البشرية في المنطقة العربية حققت بعض النتائج الإيجابية، حاول التقرير تلخيصها على مدى الأربعين سنة الأخيرة (ص١١)، فأفاد أن هناك تحسنا في توقعات الأعمار، وانخفاضا في معدلات وفيات الأطفال، إلى جانب تغيير تركيب الأسرة ناتج عن انخفاض معدل الخصوبة وزيادة التعليم، ما أدى إلى تطور في علاقة الرجل بالمرأة والآباء بالأبناء، كما أصبحت الأسرة أكثر توازنا في تقاسم السلطة بين الزوجين اللذين تطورت نظرتهما إلى الإنجاب، فبدل النظرة التقليدية إلى النسل أصبحا يخططان لإنتاج الثروة البشرية.

وعلى الرغم مما تحقق، فإن (المشكلات الهيكلية في المجتمع العربي تثبط تمكين الشباب والنساء من حياة منتجة ومبدعة تتناسب مع قدراتهم الكاملة). والمشكلات الهيكلية منها ما هو ذو طبيعة اقتصادية، وقد تكون الأسهل في الحل، كارتفاع معدل البطالة، وضعف مشاركة النساء في النشاط الاقتصادي؛ وهناك مشكلات ذات طبيعة اجتماعية كالتدهور القيمي والسلوكي والتنموي في المنطقة، وهي تمثل تحديا أكبر

من المشكلة الاقتصادية.

إن السياسات الاقتصادية التي نهجتها الدول العربية منذ العقد السابع من القرن الماضي، توخت ترشيد نفقاتها ومواردها المالية، ما أدى إلى زيادة العبء المالي للأسر الفقيرة وتردي أحوالها، لتراجع الاستثمار في المجالات الاجتماعية وإلغاء الدعم لكثير من الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية، التي ظلت الاستفادة منها قاصرة على الطبقات الغنية، ما يؤشر لغياب العدل في توزيع الثروة الوطنية بين كل أفراد الشعب، في الوقت الذي عرفت فيه الطبقات الثرية من المجتمع انتعاشا ملحوظا وتراكما ضخما في ثرواتها، مما ينبئ بعدم الإنصاف في توزيع الثروة الوطنية وعدم إسهام المستفيدين منها في التنمية العامة للبلاد.

هذا الفقر يعد من أهم الظروف المعطبة، فإحدى الدراسات حول العلاقة السببية بين الفقر والأداء العقلي، أنجزت عام ٢٠١٣ (ص١٩)، خلصت إلى أن (الفقر يعوق القدرة الذهنية) فالأثر السلبي للفقر يقابل فقدان حوالي ١٣ نقطة على مقياس معامل الذكاء. (معاناة الفقر تعني التعايش مع نقص متزامن في الموارد الذهنية، لأن ظروف الفقر تعرقل قدرته الذهنية).

إن التعرض الطويل لظروف مجتمعية مناوئة يتسبب في تأثيرات سلبية على الصحة والسلوك وإعاقة الوظائف الذهنية، بل تعمل على إعطاب بنية المخ، وتباينات بنية المخ مسؤولة عن التباينات في ذكاء الأفراد. فقد أكدت إحدى الدراسات الحديثة التي استقصت تأثير تباينات العوامل المجتمعية والاقتصادية على القياسات الظاهرية للمخ (ص٢٠)، من خلال عينة ضمت أكثر من ألف شخص، تتراوح أعمارهم ما بين ٣ و٢٠ سنة، أن (تعليم الوالدين، ودخل الأسرة، يفسر التباينات الشخصية في الصفات المستقلة لنمو بنية المخ، في مناطق حاسمة في تنمية اللغة، والوظائف التنفيذية والذاكرة». فارتفاع مستوى تعليم الوالدين، وزيادة دخل الأسرة، يؤديان مباشرة إلى زيادة في مساحة سطح مخ الأطفال).

كما تأكد من الدراسة أن تدابير النظام التعليمي والأسرة، يمكنهما النجاح في تحسين القدرات الذهنية والسلوكية للأطفال، خاصة الذين يعانون ظروفا اجتماعية واقتصادية مناوئة. وعند غياب التدابير فإن الأطفال يصبحون عرضة لإعطاب قدراتهم الذهنية التي تحول دون اكتسابهم الثروة البشرية.

يحصل الأفراد الفقراء على سنوات أقل من التعليم، والأدهى من ذلك أنهم يكتسبون ثروة بشرية أقل من كل سنة يقضونها، نتيجة تردي جودة التعليم. والتحليل الاقتصادي المحاسبي يؤكد العلاقة المباشرة بين مجمل المقدرة المهارية للأفراد، كما يشكلها التعليم، ومجمل الأداء الاقتصادي للدول، لتحقيق الأداء الاقتصادي الجيد فلا يكفي تعميم التعليم، بل يجب توفير شرط الجودة.

جودة التعليم

إن الإصلاحات التربوية خلال العقدين الأخيرين في البلاد العربية سطرت مسارا بارزا وخطة عمل غنية، ووضعت استراتيجيات عمل متينة، لكنها اقتصرت على النتائج الكمية دون النوعية، فعلى الرغم من زيادة ميزانيات التعليم، وزيادة أعداد ونسب المتعلمين، إلا أن النقاش حولها يؤكد أن تلك الزيادة قد أصبحت هدفا في حد ذاتها، فالنقاش العام حول التعليم لا يتجاوز قضايا نسب الاستيعاب والتعميم، وبناء المدارس، وأعداد المدارس التي دخلها الكمبيوتر، والنجاح في الامتحانات الإشهادية، وعدد الكتب الدراسية الجديدة، وغيرها من القضايا التي يمكن تسميتها قضايا البنية الأساسية للتعليم، ولم يكن مطروحا خلال النقاش الدور الثقافي للتعليم أو فلسفة التعليم، أو سمات المثقف كما يخرجها نظام التعليم، أو النظام الاجتماعي والاقتصادي ومدى قدرتهما على قبول التجديد، ومدى مواكبتهما للتصورات النظرية التي تتأسس عليها الإصلاحات التربوية. وغير ذلك من القضايا التي ينبغي مناقشتها بجرأة وشجاعة وتجرد.

إن التعليم الجيد يزود المتعلم بالمهارات والقدرات المعرفية، من خلال المناهج المدرسية، وأيضا بالقدرات والمهارات غير المعرفية، وتحددها القيم التي تتأسس عليها فلسفة التربية وتترجمها المناهج المدرسية وسائر أنشطة الحياة المدرسية، وتكتسي أهمية قصوى في تحديد نوع المخرجات وجدواها ببناء القدرات غير المعرفية التي نفتقدها كثيرا في متعلمينا.

إن فروق الدخل بين الدول تحددها الفروق بين المؤسسات والسياسات الاقتصادية. فهذه المؤسسات والسياسات تعد تجسيدا هيكليا وعمليا للمقدرة الجمعية للأفراد في المجتمع أي الثروة البشرية، المسؤولة عن التباينات الكبيرة في الدخل بين الدول الغنية والفقيرة، فالفروق الإنتاجية بين الاقتصادات تعتمد على القدرة المجتمعة للعاملين في الحصول على المعرفة المتقدمة ومراكمتها.

إن إنتاجية الشركات والدول الحديثة تتركز في قدراتها الفكرية

والنظمية ممثلة في ثروتها البشـــرية، أكثـــر من الأصول الجامدة كالثروات الطبيعية والعقارات والمصانع. فالثروة البشـــرية التي تقيم في المعرفة والمهارات والقدرات وغيرها من الصفات المجتمعة للأفـــراد، تعد أكثر الأصول أهمية، وأظهـــر تحليل مالي حديث أن قيمة الثروة البشرية في الســـياق الاستثماري تقدر حسابيا بما قدره ٩٣٪ من مجموع الثروة (ص١٤).

فالثروة البشـــرية يمكن تعريفها من منظور اقتصادي على أنها المهارات والتوجهات والصفات الشخصية التي يترجمها الناس إلى نشـــاطات اقتصادية، هذه الثروة تتكون في عمر مبكر جدا، في ظل بيئـــة مجتمعية ملائمة، توفر الدعـــم الذاتي والتلاقح البيني الذي ينتج حركية تكامل وتوالد ذاتي يبني الثروة البشرية، مـــن خلال الآليات التي تجعل المهارات والقدرات تتضاعف وتتوالد باســـتمرار؛ فالمهارات الغير معرفية تنتج المهارات المعرفية، التي تنمي مخزونها المهـــارات غير المعرفية أيضا في عملية تكاملية هائلة.

إن القدرات المعرفية تمثل محددا جوهريا للثروة البشرية، يمكن قياسها بسهولة، وقد بحثت دراسة حديثة دور الثروة البشرية المعرفية في النمو الاقتصادي لـ١٤٨ دولة (ص١٤)، على مدى ٣٤ عاما ممتـــدا من ١٩٧٥ إلى ٢٠٠٩، وكان مـــن نتائجها أن (القدرة المعرفية مقيســـة بمعامل الـــذكاء أو النجاح المدرســـي، تنبئ بقوة عن النمو الاقتصادي على مستوى العالم. وأن المقياسين يمكن جمع متوســـطيهما في مؤشـــر واحد لـ»الذكاء»، وتأكد من الدراســـة أن النمو الاقتصادي في العقـــود الأربعة الأخيرة يمكن أن يعزى بدرجة كبيرة إلى ارتفاع «الذكاء» الذي يعني في الدراسة ارتفاع معامل ذكاء الأفراد ونجاحهم المدرسي)، فنتائج اختبارات معامل الـــذكاء ترتبط بشـــدة بالتقييمات العالمية للإنجاز المدرسي.

فالذكاء يؤثـــر على النمو الاقتصادي من خلال متغيرات متعددة مؤسسية واقتصادية وسلوكية وبيولوجية، ترتبط فيما بينها، وتتضمن الديمقراطية والحرية السياســـية والفســـاد ونســـبة الدخل القومي المخصص للاستثمار، والتنافسية التقنية، وصحة المواطنين، ومعدل الادخار، وانتشار الجريمة.

كما بينت دراسة أن معدل الذكاء القومي يرتبط إيجابيا بثلاث مـــن الصفات العامة الخمس الكبرى للســـلوك البشـــري، وهي الرضا والانفتاح على الخبرات، والألفة. فالصفات الخمس الكبرى (العصابيـــة، الرضا، الانفتـــاح على الخبرات، الألفـــة، والاجتهاد) ومعاملات الذكاء في الثقافات المختلفة، تفسر إحصائيا ٧٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي للفرد. والرضا والـــذكاء هما أكثر المنبئات أهمية فيما يتعلق بالنجاح الاقتصادي، إذ كانا مرتبطين إيجابيا وبقوة مع الناتج المحلي الإجمالي.

هـــذه العوامل مجتمعـــة تمكن الدولة من ترجمة رأســـمالها الفكـــري إلى ثروة مادية، والتوجهات المجتمعية يشـــكلها فعليا «الذكاء» والقدرات المعرفية للأفـــراد في المجتمع هي التي تصوغ سياساته وأخلاقه، بحيث تتبنى الشعوب ذات القدرات المعرفية الأعلى توجهات أكثر انفتاحا واســـتقلالية ومناوئة للسلطوية، بخلاف الشعوب ذات القدرات المعرفية الأقل.

مســـتوى التعليم مؤثر على سياســـة وقيم المجتمع، من خلال تأثيـــره على تشـــكيل ذكاء المدرســـين، فقد توصلت دراســـة شـــملت عددا كبيرا من الدول، بعد تحليل الثروة البشـــرية فيها والعوامل الجغرافية والمؤسسية والثقافية وفحص إنتاجية آلاف المؤسسات الاقتصادية، تأكد أن العامل الأقوى في تشكيل الثروة البشرية هو مستوى التعليم، أي جودته التي تنبني عليها جودة الثروة البشرية، وليس كميته ولا عدد الناس المتعلمين.

والتطور التقني الذي يرتبط بنوعية التعليم ومستواه، يشكل قوة دافعة لإنتاج العمال بنسبة هامة تبلغ ٥١,٥٪، حسبما بينت إحدى الدراسات الحديثة (٢٠١٤) التي شملت عينة من ١٢١ دولة على مدى ٣٧ عاما (ص١٦)، وأظهرت بيانات ذات الدراســـة أن ١٢ دولة عربيـــة كانت الأقل حظا في التغييـــر التقني، لأن الأوضاع الثقافية والسياســـية فيها تحد من قدرتهـــا على تبني الأفكار التقنية.

إن الثروة البشـــرية، كما تعبر عنها القدرات المعرفية، ليســـت ضرورية فقط للنجاح الاقتصادي، بل لها آثار بعيدة المدى على كل مناحي التنمية المجتمعية، فالشعوب هي التي تقرر مصير الدول، لأن القادة يأتون من تلك الشـــريحة البارعـــة في مجتمعاتهم، لذلـــك فهم يعكســـون صفات بلدانهـــم وقدراتهـــا المعرفية. والمســـتويات المرتفعة من المهارات المعرفية تساعد المواطنين أن يصبحوا أكثر تفهما ودراية بمنافع الحكم غير المنحاز، ومثل تلك الشعوب هم الأكثر إدراكا لأهمية القانون، بالرغم مما قد يفرضه ذلك عليهم من أعباء إضافية.

التعليم العربي يعد ظرفا معطبا أيضا، فالتعليم يمثل واحدا من أكثر التدابير انتشارا في المجتمعات الحديثة، فهو يعزز العمليات الذهنية المسؤولة عن الأداء في معظم اختبارات معامل الذكاء، ويجب أن يســـتكمل الفرد ســـنواته كلها، ونقص سنة واحدة يقابله نقص يتراوح ما بين ٢,٩ إلى ٣,٧ نقطة، ما يؤدي إلى خفض الناتج المحلي الإجمالي بمقدار ٣٥٪ (ص٢١).

إلا أن بعـــض النظم التعليمية لا تكفي لرفع القدر الأســـاس من القدرات الذهنية للتلاميذ، فالقدرات الذهنية الأكثر جوهرية مثل كفـــاءة العمليات الذهنية، تنميهـــا برامج تعليم خاصة، والذكاء المرن ينمو بالتدريب على المهام التي تتطلب جهدا خاصا لذاكرة التشغيل.

وأنظمة التعليم حين تفشـــل في تنميـــة التوازن الصحيح بين المهارات المعرفية، والمهارات غير المعرفية، تنتج ثروة بشرية ضعيفة المســـتوى، فتؤدي إلى الإضرار بالثروتين الاجتماعية والبشرية في المجتمع، مثلما هو حاصل في البلاد العربية، حســـبما أكده تقرير البنك الدولي الصادر عام ٢٠٠٨. فثـــراء بعض الدول العربية لم ينعكس على مســـتوى الثروة البشـــرية، لأن تحقيق إنجازات على

مستوى الثروة البشرية لا علاقة له بالإمكانات الاقتصادية للدولة، فدولتان عربيتان ثريتان، كان أداؤهما مشابها لأداء دولتين عربيتين دخل الفرد فيهما أقل خمس مرات عن الدولتين الثريتين (ص٢١).

إن أداءنا التعليمي يشير إلى تدهور واسع المدى وطويل للقدرات الذهنية، الذي في حال استمراره سيديم التعثر الاقتصادي، ويوسع دائرة الفقر، ويعرقل توزيع الثروات ويعزز وينشر الحكم المتسلط.

كفاءة المدرس

من أجل معرفة السبب الجوهري للتنمية الاقتصادية في أي مجتمع، يتحتم على المرء أن يبحث عما يؤدي إلى اكتساب الثروة البشرية، أي بالتحديد هيكلية النظم التعليمية، فالاختلافات بين الدول في جودة ثروتها البشرية، سببها الجوهري التباينات بينها في مواصفات مؤسساتها ونظمها التعليمية وليس مقدار إنفاقها على التعليم.

إن تأثير التعليم على الاقتصاد يبدو حتما من خلال مخرجاته من الثروة البشرية وتأثيره على القدرات المعرفية للدارسين. وقد أكد التحليل التفصيلي في إحدى الدراسات الحديثة، أن لكفاءة العاملين علاقة قوية وثابتة ودائمة بالنمو الاقتصادي، وأظهرت البيانات أن العامل المؤثر هو جودة التعليم، وليس بالضرورة الإمكانات المتوفرة بالمدارس، فالفروق الإنتاجية بين الدول ترتبط بالفروق بينها في جودة التعليم، أكثر من ارتباطها بالعوامل الأخرى مثل الثقافة والدعم الأسري أو التوجهات (ص٢٤).

إن تحسين كفاءة المدرسين، هو العامل الحاسم في تحسين أداء الطلاب وتحقيق جودة التعليم. وعلى الرغم من أن تحسن أداء الطلاب قد تظهر نتائجه الاقتصادية على المدى البعيد، وأن الزيادة التي قد تحققها الدولة في الناتج المحلي الإجمالي قد لا يتعدى ٣٪ ويبدو حسابيا ضئيلا، فإن قيمته المالية قد تتعدى المائة مليار دولار سنويا، في دولة واحدة من دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية المشمولة بالدراسة (ص٢٥).

إلا أن تحسين جودة التعليم قد لا يؤدي دائما إلى النمو الاقتصادي المرغوب، في الحالات التي تغيب فيها العوامل الجوهرية المكملة، مثل الحماية القانونية، والمؤسسات، والهياكل الحكومية الداعمة لعافية الاقتصاد، لأن قوة العمل في أي بلد هي مجرد عنصر واحد في شبكة متداخلة من العناصر التي تصنع النمو الاقتصادي.

إن التعليم المنخفض الأداء يتسبب في خسارة مالية فادحة للشعوب والمجتمعات.

تغيير السياسات والثقافة

هذه البيئة المناوئة أو المعطبة يكون تأثيرها قويا خلال فترة الطفولة المبكرة، أي السنوات الخمس الأولى من عمر الإنسان، وهي الفترة الهامة التي يمكن أن تصاغ فيها الثروة البشرية للأفراد. وتداعيات استمرار الظروف المناوئة والمعطبة بعيدة المدى على صحة الأفراد العقلية والنفسية والبدنية والثروة البشرية والمهارات غير المعرفية، بل وتتعدى ذلك إلى صياغة المآلات على مستوى الشعوب كاملة، حين يتم إهمال هذه الظروف ولا تعالج في الإبان، ولا تستبدل بظروف جيدة ملائمة.

التنمية غير المتوازنة لا توفر الظروف البيئية المجتمعية اللازمة لحماية وتنمية القدرات الإيجابية للأفراد، ما يؤدي إلى ضمورها أو إعطابها، ما يتيح الفرصة لنمو قدرات هدامة، تسهم في إدامة التنمية القاصرة التي تؤدي إلى إعطاب قدرات الأفراد وتخلق هوة شاسعة بين القدرات الفردية المعطوبة وبين مستوى المهارات المطلوبة لتحقيق تقدم تنموي معتبر. فلابد من عملية تنمية منسقة بعناية شديدة تقودها الضرورات الملحة وتضبطها المعايير العالمية المتقدمة للأداء والمنافسة، وتركز على بناء المقدرة الإنسانية.

فالعيش تحت وطأة التنمية القاصرة، يؤدي إلى عرقلة اللحاق بركب التقدم. فالتنمية القاصرة هي تعليم ينقصه شرط الجودة ولا يسهم في تطوير مهارات المُمَدْرَسين، هي طفولة مهملة لا تتاح لها فرص امتلاك الثروة البشرية، هي فقر يؤثر على القوى العقلية للأفراد، هي أنظمة حكم متسلطة توسع دائرة المحن الداخلية والتحديات الخارجية، هي إدارة عمومية ترفض كل تطوير وإصلاح، هي مظاهر سلبية كثيرة يصعب عدها وإحصاؤها.

إن عافية الدول ورفاهتها الاقتصادية تعتمد بصورة كبيرة على المتاح من الثروتين البشرية والمجتمعية، وتنمية القدرات البشرية عملية معقدة ومتعددة المستويات، تبدأ في سن مبكرة وتتأثر بعوامل أسرية وبيئية، والمهارات المعرفية وغير المعرفية تعدان العاملين الجوهريين في تحديد الدور الذي يمكن أن تلعبه الثروة البشرية في عملية التنمية وتحقيق النجاح الاجتماعي والاقتصادي.

وإدامة التنمية الاجتماعية والاقتصادية، من شروطه امتلاك آليات فعالة لتمكين الأفراد من أن يطوروا بحرية قدرا متوازنا من المهارات المعرفية وغير المعرفية، بخلق بيئة راعية تمكنهم من اكتساب وتنمية الثروة البشرية، بيئة تتوفر على أنظمة التمكين الهيكلية كالتعليم، وسيادة القانون، والحرية السياسية والشفافية والرعاية الصحية.

يعول على التعليم للتخفيف من تداعيات التنمية غير المتوازنة، فهو يعد عاملا يحد من تدهور القدرات وتحسين الآفاق المستقبلية للأجيال، ويمكنها من المشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومنحها كفايات قيمة، بغض النظر عن الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية للأفراد. ولا يمكن لأي إصلاح تعليمي أن ينجح ما لم يول عناية للمدرسين ويشركهم ويرفع معنوياتهم ويحسن ظروفهم، فتلك شروط ضرورية لتحسين أدائهم.

يوم عرفة

للشاعر إبراهيم يحيى المهدي

رَبَّــاهُ إنِّي مُذْنِــبٌ ومُقَــصِّرُ
ولأنْــتَ تَقْبَــلُ مَــنْ أتَى يَسْــتغْفِرُ
كــبرتْ ذُنــوبي فالتجــأْتُ إليــك في
ذلٍ وعفــوُكَ يــا إلهــي أكْــبرُ
وســجدتُ بــيْن يديْــكَ أطلــبُ عِزةً
و بــك الجبــاهُ تعِــزُّ إذْ تتعفَّــرُ
ربَّــاهُ هــذا اليــومُ للعُتقاْ بِفضْــلِك
مَــنْ بِذكْــرِكَ قــد يــسر ويَجْهَــرُ
عرَفَــاتُ إذْ لَبَّــى الحجيــجُ لِرَبِّهِــمْ
وَقُلُوْبُهُــمْ كَتِيْابِهِــمْ بَــلْ أَزْهَــرُ
بَاهَــى العظيْــمُ بِهِــمْ مَلائِكَــهُ وهم
شُــعْثٌ وغُــبْرٌ كَــمْ دَعَــوْهُ وَ كَــبَّرُوا
تَرَكُــوا الحَيَــاةَ وَرَاءَهُــمْ و اســتَقبَلوا
ربّــاً رَحِيْــمًا كَــمْ نَــزِلُّ و يَغْفِــرُ
حَجُّــوا إليــكَ ولَيْتَنِــي فِي جَمْعِهِــمْ
لأَفُــوْزَ بِالفَــوْزِ العَظِيْــمِ وأَفْخَــرُ
يَــا مُنْعِــمًا بالفضْلِ كَــمْ مِــنْ نِعْمَةٍ
أَعْطَيْــتَ ذَا شُــكْرٍ وَمَــنْ لا يَشْــكُرُ
وَأَنَــا إذَا قَــصَّرتُ لَيْــسَ تَكَــبُّرًا
بَــلْ غَفْلَــةً ولِغَفْلَتِــي كَــمْ تَعْــذرُ
كَمْ لِي مِــنْ الحَاجِــاتِ أَنْــتَ عَلِمْتَهَا
وَعَلِمْــتَ مَــا سَــأُسِرُّهُ أَوْ أُظْهِــر
وَاليَــوْمَ تُعْطِــي كُلَّ عَبْــدٍ سُــؤْلَهُ
وأنَــا طَمِعْــتُ وأنــت أنــت الأَقْــدرُ